فـى التنويـر الإســــلامى 

الإسلام في عيون غربية

دراسات سويسرية

ترجمــة :

ثابت عيد



نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨

اسم الكتاب: الإسلام فى عيون غربية
(دراسات سويسرية)
اسم المترجم: ثابت عيد
تاريخ النشر: ديسمبر ١٩٩٨م . (طبعة أولى)
رقم الإيداع: ١٦٧٤٤ / ١٩٩٨م .
الترقيم الدولى: I . S . B . N 977 - 14 - 0888 - 7
الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .
المركز الرئيسى: ٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة .
مدينة السادس من أكتوبر .
ت: ٣٣٠٢٨٧ / ٠١١ (١٠ خطوط)
فاكس: ٠١١/٣٣٠٢٩٦
مركز التوزيع: ١٨ ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة
ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٠٢/٥٩٠٨٨٩٥
فاكس: ٠٢/٥٩٠٣٣٩٥ ص.ب: ٩٦ الفجالة
إدارة النشر: ٢١ ش أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة
ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٠٢/٣٤٧٢٨٦٤
فاكس: ٠٢/٣٤٦٢٥٧٦ ص.ب: ٢٠ إمبابة .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

تمثل «الاستنارة» : حالة كيفية ونوعية من «الوعى - الفاعل» بحقيقة «الذات» و «الواقع» و «المحيط» . . فلابد فيها من الوعى «بالذات الحضارية والثقافية» والمعرفة الواعية «بالآخر الحضارى والثقافى» أيضًا . .

والذين تقف ثقافتهم عند موروثهم الفكرى لا تتعداه ، هم - فى أحسن الأحوال - كمن ينظر بعين واحدة ، فلا يبصرون إلا ذاتهم ، أو كالأعمى الذى لا يدرك من الوجود غير جسده الذى يتحسسه بيديه !

وكذلك حال ثقافة الذين ضُربت عقولهم فى «المصانع الفكرية» للحضارات الأخرى ، الذين جهلوا مواريثهم ، وهوية أمتهم ، وثقافة الحضارة التى يحملون أسماءها ، وإلى شعوبها ينتسبون . .

إنهم مستنيرون . . لكن استنارتهم لا ترى غير الآخر ، ولهم وعى ، لكن وعيهم لا يدرك الذات الحضارية التى يستظلون بعنوانها العقدى والوطنى والقومى والثقافى .

ومن هنا ، كانت الاستنارة الكاملة الفاعلة هى الوعى الحقيقى «بالذات الحضارية» و «بالآخر الحضارى» ، وإدراك وإعمال قوانين الأخذ والعطاء ، والتفاعل الصحى بين تيارات الفكر الإنسانى ، وثمرات العقول فى مختلف الثقافات والحضارات . .

فالذين يكتفون «بذاتهم» الثقافية والحضارية ، لابد وأن يقودوا

هذه «الذات» إلى الذبول والاضمحلال ، مثلهم فى ذلك كمثل المضرب عن الطعام ، يعيش على الذات حتى يستهلك مكوناتها !

وكذلك الذين يتجاهلون أو يجهلون «الذات» الثقافية والحضارية لأمتهم ، ويتقمصون «ذوات» الآخرين ، لابد وأن تنتهى هذه «الذات» - التى فرطوا فيها - إلى الذبول والاضمحلال ! . .

فمعرفة النفس لا تغنى عن معرفة الآخرين . . والعكس صحيح . .

ولا يحسبن أحد أن هذا المنهاج - فى الاستنارة الحقيقية - هو وليد الواقع المعاصر ، وما شهد ويشهد من تسارع وتعاظم فى ثورة وسائل الاتصال . . فمن القرآن الكريم نتعلم المنهاج الذى يدعونا - بعد الوعى بالذات ، واليقين بالحق الذى نؤمن به ، وننتمى إليه ، ونجاهد فى سبيله - . . يدعونا هذا المنهاج القرآنى إلى التعرف على الآخرين . . بل والتأمل فيما يقولونه عنا ، والتدبر فى «صورة ذاتنا» لدى هؤلاء «الآخرين» . .

● إن عالمية الإسلام تفرض على أمته - كى تحقق القيام بفريضة الدعوة إليه - تحقيق مستويات ثلاثة فى الدعوة إلى هذا الدين :

١ - تبليغ الدعوة الإسلامية إلى الآخرين .

٢ - وإقامة الحجة ، بصدق الإسلام ، على هؤلاء الآخرين .

٣ - وإزالة الشبهة ، عن الإسلام ، لدى هؤلاء الآخرين .

وبدون المعرفة بالآخر ، والوعى بما لديه من عقائد و«أيديولوچيات» ومواريث فكرية وثقافية ، يستحيل إنجاز هذه

الأركان فى فريضة الدعوة إلى الإسلام ..

● وليس كالقرآن كتابًا اعتمد «المقارنة» منهاجًا فى إثبات الحق الإسلامى ، عندما عرض هذا الحق مقارنًا بما لدى الشرك والوثنية والإلحاد والتحريف من دعاوى ومواريث .. ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) ﴾.

[الصافات: ٩٥، ٩٦]

وفى تقرير صفات الكمال للذات الإلهية ، ينساب المنطق القرآنى إلى العقول والقلوب عندما يأتى فى معرض المقارنة مع بضاعة الآخرين : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) ﴾ [مريم: ٤١، ٤٢] ..

● وليس كالقرآن كتابًا سعى إلى استنطاق الآخرين كل ما لديهم من «حجج وبراهين» على ما يعتقدون : ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١١١) ﴾ [البقرة: ١١١] - .. ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ

فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ (١٤٨) ﴾ [الأنعام: ١٤٨] - .. ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤) ﴾ [الأحقاف: ٤].

● وليس كالقرآن كتابًا اهتم «ببضاعة» الآخرين - العقدية والفكرية - على ما بها من سقم وعوج وتهافت .. فهو يثبت ما تحدثوا به عنه - وهو المعجز المتحدى - عندما قالوا: ﴿ ... إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (٢٥) ﴾ [الأنعام: ٢٥] - .. ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ (٥) ﴾ [الأنبياء: ٥] ..

ويثبت ما وصفوا به الصادق الأمين ﷺ عندما قالوا عنه: ﴿ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤) ﴾ [ص: ٤] ..

ويثبت الفلسفة الدهرية - على بؤسها - عندما تعلقوا بحبالها: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ (٢٤) ﴾ [الجاثية: ٢٤] ..

ويخلّد «منطقهم» العجيب، الذى انحاز للشرك، متعجبًا من

التوحيد ! : ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) ﴾ [ص: ٥] . .

يتتبع القرآن الكريم «مقالات» الآخرين ، فيفندها ، ثم لا يطوى صفحتها متجاوزًا إياها ، وإنما يثبتها آيات فى سوره نتلوها ونتعبد بها ، ليرسى دعائم هذا المنهاج فى مقارنة العقائد والفلسفات والأفكار .

بل إننا نتعلم من هذا المنهاج القرآنى ، أن الذين يصادرون الفكر الآخر ، ويغلقون دونه الأسماع والأبصار إنما كانوا هم المشركين . . فتجاهل الفكر الآخر ، والصد عن سماعه وتأمله وتدبره ليس منهاج أهل الإيمان . . والمشركون هم الذين يُلهون ويصرفون أنفسهم وذويهم عن القرآن : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٦) ﴾ [لقمان: ٦] . . فلقد رفعوا شعار التعمية على هذا الذى خالف ما وجدوا عليه آباءهم وكبراءهم : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) ﴾ [فصلت: ٢٦] . .

فلقد حسبوا أن الراحة والغَلَب فى التعمية على هذا الذى لم يألفوه ، والكتمان لهذا الذى لا يهوون ، والمصادرة لهذا الذى لا يريدون ! . .

هذا هو المنهاج القرآنى فى التعامل مع الفكر الآخر - حتى

عندما كان شركًا صريحًا وكفرًا بواحًا ووثنية جاهلية ودهرية حيوانية ، مصادمة للفطرة السوية التى فطر الله عليها الإنسان فى الإيمان . .

* * *

واليوم . . ونحن نعيش واقعًا عالميًا ، إن هدأت فيه أدوات القتال الدامى حينًا ، اشتدت فيه آليات التدافع الفكرى ، بل والغزو الثقافى ، والاجتياح الإعلامى ، فى كل الأحايين . . فى هذا الواقع ، نرى فكر الآخرين يقتحم على عقولنا وقلوبنا حتى مخادعنا التى نستكن فيها ! . . وكذلك يتاح لفكرنا - هو الآخر - أن يصل إلى الآخرين فى عوالمهم ، الأمر الذى أحدث تغييرًا نوعيًا فى المواقع الفكرية على خارطة الواقع المعاصر . . فلم يعد الفكر الآخر خارج الحدود ، ولا حتى متربصًا ومتلصصًا على النوافذ والأبواب ، وإنما غدا فى داخل حصوننا ، قامت وتقام له المراكز والمؤسسات والجامعات والصحف والمجلات . . بل إنه يمطرنا صباح مساء وآناء الليل وأطراف النهار من أقماره الصناعية السابحة فى سماواتنا بلا حواجز أو حدود ! . .

كما أصبحت لنا - نحن أيضًا - رغم حالة الاستضعاف وقلة الإمكانات - مراكز إشعاع فكرى فى ديار الآخرين ، تؤتى - بقوة الحق الإسلامى ، وجاذبية الفطرة فيه - من الثمرات ما يعوض سلبيات الاستضعاف وقلة الإمكانات ! . .

لقد أثمر هذا الواقع الجديد - الذى أحدثته ثورة وسائل الاتصال - لونًا من «التلاحم الفكرى» العالمى ، الأمر الذى فرض ويفرض على مختلف فرقاء التدافع الفكرى الوعى بما لدى الآخرين . .

فلقد أصبح هذا الوعى ضرورة للقبول وللرفض على حد سواء ! . .

وإذا كانت القضية ، بالنسبة لنا ، تتعدى حدود «المغالبة الدنيوية» فى عالم الأفكار ، إلى حيث هى فريضة دينية - أيضًا - لإبلاغ الدعوة إلى الإسلام ، وإقامة الحجة على صدقه ، وإزالة الشبهة عن عقول المشتبهين فيه . . فإن الوعى بما لدى الآخرين عن «ذاتهم» وعنا يصبح - هو الآخر - فريضة إسلامية على الذين انتدبوا أنفسهم للرباط الفكرى على ثغور الإسلام - الدين . . والحضارة . . والأمة . . والديار - هذه الشريحة من أهل العلم ، الذين تحدث عن رسالتهم هذه رسول الله ﷺ عندما قال : « يحمل هذا العلم من كل خَلَف عدوله ، ينفون عنه تحريف الضالين وانتحال المبطلين » رواه الطبرانى . .

وإذا كانت هذه السلسلة - [فى التنوير الإسلامى] - قد بدأت بدراسة عن (الصحوة الإسلامية فى عيون غربية) ، قدمت فيها رؤية ثلاثين مستشرقًا لظاهرة الصحوة الإسلامية المعاصرة . . فإنها تواصل رسالة تعريف العقل العربى والمسلم بتصورات الآخرين للإسلام . . والإحياء الإسلامى . . وقضايا وطن العروبة وعالم الإسلام . . تواصل هذه «السلسلة» القيام بهذه الفريضة الفكرية ، فتقدم للباحثين والقراء سبع دراسات كتبها خمسة من العلماء والمفكرين السويسريين - أحدهم مسلم ، مصرى المولد والنشأة - وهذه الدراسات هى :

١ - (الإسلام وأوربا : الجاران الغريبان) لـ : «إريك جيسلينج» .

٢ - (الإسلام فى مرآة الغرب : نموذج برنارد لويس ، ومكسيم رودينسون) لـ : «إريك جيسلينج» .

٣ – (الشرق الأوسط : بؤرة الصراعات) لـ : «إريك جيسلينج» و «أرنولد هوتينجر» .

٤ – (الفكر المتشدد فى الإسلام) لـ : «إرنست تسبيندن» .

٥ – (كيف نتعامل مع التطرف الدينى ؟) لـ : «هانس كينج» .

٦ – (ما مدى خطورة الحركة الإسلامية) لـ : «أرنولد هوتينجر» .

٧ – (قضية سلمان رشدى : خلفيات العلاقة المتوترة بين الشرق والغرب) لـ : «إسماعيل أمين» .

ولقد اختار هذه الدراسات ، وترجمها عن الألمانية ، وقدم لها باحث أكاديمى – جاد ومتميز – مسلم . . مصرى المولد والنشأة – يعيش فى سويسرا ، ويعايش هؤلاء المستشرقين ، ويحاور أفكارهم – هو الأستاذ ثابت عيد . .

نقدم هذه الدراسات إلى الباحثين والقراء . . إسهامًا فى تنمية وعينا بصورتنا عند الآخرين ، لنتدبر مواقع أقدامنا ، ولنرشد ذاتنا الإسلامية ، ولنسدد خطانا على طريق التقدم والنهوض . .

والله نسأل أن يتقبل هذا الجهد خالصًا لوجهه الكريم . . وأن يهدى به إلى سواء السبيل . .

القاهرة فى : ١٢ ذى القعدة ١٤١٨ هـ

١١ مارس ١٩٩٨ م

دكتور

محمد عمارة

١ - الإسلام وأوروبا: الجاران الغريبان

بقلم الباحث السويسرى: إريك جيسلينج

مقدمة المترجم

يعتبر إريك جيسلينج (Erich Gysling) وأرنولد هوتينجر (Arnold Hottinger) كبيرى خبراء سويسرا المتخصصين فى شئون الشرق الأوسط. ويتمتع جيسلينج بشعبية جارفة بين أفراد الشعب السويسرى. وعندما ألتقى به فى وسط مدينة زيورخ يخيل إلى أحيانًا أنه ليس باحثًا أكاديميًا، ولكن أحد نجوم هوليوود العظام، حيث تتبعه العيون بنظرات الإعجاب والتقدير، ويتجرأ البعض، فيطلب منه أوتوجرافًا. ومن حسن حظ العرب والمسلمين أن هذه الشخصية السويسرية المحترمة والمحبوبة من الشعب السويسرى، هى فى نفس الوقت شخصية منصفة للعرب، وللحضارة الإسلامية، والمنصفون اليوم قليل. فجيسلينج يسعى دائمًا إلى تصحيح الصورة المشوهة للعرب والإسلام فى عقول الغربيين، ولكن ماذا عساه أن يفعل وحده؟ فالتيار الغالب فى سويسرا على وسائل الإعلام هو تيار متأثر بمدرسة الصحفيين الألمانيين: كونسلمان (Konzelmann) وشولاتور (Scholl-Latours)، وهما صحفيان يتقنان اللغة الألمانية جيدًا، ولكنهما يجهلان تاريخ الإسلام، وبالتالى فقد ساهما مساهمة فعالة فى تشويه صورة العرب والمسلمين فى أوروبا الألمانية، ونحمد الله أن مجموعة من الباحثين المجتهدين فى جامعة هامبورج بألمانيا قد تصدت لجهالات هذين الصحفيين، وقامت بفضحهما فى كتابين يعتبران من أهم الكتب التى صدرت فى هذا القرن فى حقل الاستشراق. فهؤلاء الباحثون المستشرقون

قاموا هنا بدور عظيم فى الدفاع عن الإسلام والعرب ؛ وهذا يعنى أننا الآن أمام ظاهرة تكاد أن تكون جديدة ، فالاستشراق هنا لا يشوه ، بل يصحح التشويه ، وهو لا يطعن فى الإسلام ، بل يتصدى للطاعنين فيه ، ويفضحهم .

أما الكتاب الأول ، فعنوانه : (**Al-lahs Plagiator**) ومؤلفه هو المستشرق الألمانى الشهير (**Gernot Rotter**) ، والكتاب الثانى عنوانه : (**Das Schwert des Experten**) وشارك فى تأليفه مجموعة من الباحثين الألمان ، مثل روتر نفسه ، والمستشرق الألمانى هاينتس هالم (**Heinz Halm**) ، ومعهم الباحث السويسرى - السالف الذكر - أرنولد هوتينجر . وعنوانا الكتابين يعكسان قمة السخرية والتهكم من هذين الصحفيين الألمانيين الجاهلين ، فالعنوان الأول معناه : «المفترى على الله» ، والمقصود هنا الأكاذيب التى روجها كونسلمان سنوات طويلة باسم الإسلام ، أما العنوان الثانى فمعناه : «سيف الخبير» ، ولفظ سيف هنا يشير إلى سلسلة الأفلام التى أنتجها شولاتور للتليفزيون الألمانى بهدف تشويه الإسلام ، وكان عنوانها «سيف الإسلام» ، والمقصود من لفظ «الخبير» هنا هو التهكم على الجاهل شولاتور الذى يدعى أنه خبير فى شئون الشرق الأوسط ، والأصح أنه خبير فى الجهل والتشويه . ونعود للباحث السويسرى - إريك جيسلينج - ونقول أنه يحاول دائمًا تصحيح الصورة المشوهة للإسلام والعرب فى الغرب ، ولكن هذا العمل الشريف لا يجد من يقدره من بين العرب ، سواء المقيمين منهم هنا فى سويسرا ، أو فى العالم العربى ، ربما لانشغال معظمهم بمسرحيات عادل إمام !! وكأن هذا الأمر لا يعنيهم من قريب أو بعيد ، وهذا موقف مؤسف ، نأمل أن يتغير قريبًا .

وينتمى جيسلينج إلى طبقة المثقفين المعتدلين من العقلانيين فى الغرب ، وهى طبقة تؤمن بقيم التسامح ، والتعايش السلمى بين الشعوب ، واحترام قيم وعادات الحضارات الأخرى ، ونبذ الطعن ، والتشويه ، والعنف ، وإقامة علاقات تعاون بين دول العالم يحكمها الاحترام المتبادل ، والاعتراف بوجود حضارات مختلفة ، وقيم متباينة . وقد نشر جيسلينج حتى الآن ثلاثة كتب عن الشرق الأوسط ، كان آخرها كتابه الذى ألفه مع هوتينجر بعنوان : (Krisenherd Nahost) (بؤرة الصراعات : الشرق الأوسط) . ويترأس جيسلينج المنظمة العالمية **Intermag** التى تضم ٤٢ محطة إرسال تليفزيونى من أوروبا وأمريكا الشمالية وأستراليا .

يقول جيسلينج فى مقاله هذا :

الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية الغربية هما فى الواقع جارتان : فلا يفصل المغرب عن طريفة (Tarifa) على الساحل الجنوبى لأسبانيا ، إلا عدة كيلومترات ؛ وتستغرق الرحلة بالطائرة من مرسيليا إلى الجزائر ساعة واحدة ؛ والرحلة من زيورخ أو جنيف إلى تونس تحتاج إلى ساعتين فقط ؛ وبالنسبة لباريس ، فموسكو أكثر بعدًا عنها من طرابلس ؛ والقاهرة أقرب إلى روما من ستوكهولم ، أو بيترسبورج مثلاً .

وبالإضافة إلى الجوار الجغرافى ، فهناك العلاقات التاريخية ؛ فالمسيحية والإسلام أصلهما واحد ، ولا يفصل نشأة الإسلام عن نشأة المسيحية إلا قرون قليلة ، وتعود جذور الديانتين معًا إلى المنطقة التى يسميها الغرب «الشرق» . والإسلام والمسيحية يقران بوحدانية الله تعالى ، حتى وإن اعتبر ذلك مشكوكًا فيه من وجهة

النظر الإسلامية المتشددة ، لأن الفكرة المحضة للتوحيد قد تغيرت في المسيحية ، في الاجتماع الكنسي الذي عقد في مدينة خلقيدونية سنة ٤٥١ م ، وذلك بتوسيع لفظ الألوهية .

وأخيرًا فقد صار للإسلام في أوروبا تاريخ وجذور (وذلك كنتيجة للتوسع التركي في البلقان) ، والثقافة الإسلامية هي مصدر القيم السائدة والمؤثرة في أقلية مسلمة تتزايد بصورة مستمرة ، سواء أكان ذلك يتعلق بمسلمي شمال أفريقيا المقيمين في فرنسا ، أو بباكستانيين في بريطانيا ، أو بأتراك في ألمانيا أو سويسرا .

كل ذلك من الممكن أن يغرينا أن نقول : ينبغي أن يكون هناك علاقة حسن جوار بين حضارة أوروبا الغربية القائمة على التقاليد المسيحية ، والعالم الإسلامي ؛ والمواطنون في كلا العالمين يجب أن يعرف بعضهم بعضًا معرفة جيدة . ولكن عكس ذلك هو الصحيح : فمواطنو أوروبا الغربية يشعرون أن المسلمين غرباء بالنسبة لهم ، كما يشعر المسلمون أن الأوروبيين الغربيين غرباء عنهم ؛ وقد أظهرت السنوات الماضية أن الطرفين قد ازدادا تباعدًا عن التوصل إلى تفاهم متبادل بينهما . وقد كان هذا التفاهم المتبادل دائمًا محدودًا جدًا ، ومقتصرًا على الشكليات والمظاهر فقط (انظر مثلاً : Maxime Rodinson, La Fasination de l'Islam, Paris 1980 ، (وراجع أيضًا : Bernard Lewis, The Muslim Discovery of Europe, London 1982) .

لماذا هذا الوضع إذن ؟

من وجهة نظر الأوروبيين الغربيين ، هناك عوامل كثيرة تلعب دورها في ذلك : من ذلك أن هجرة مواطنين من دول غير أوروبية

إلى أوروبا قد أصبح مشكلة للكثير من الأوروبيين . صحيح أنه من قبيل المصادفة أن جزءاً كبيرًا نسبيًا من المهاجرين قد جاء من دول يمثل الإسلام فيها العنصر الثقافى السائد (شمال أفريقيا ، جنوب البلقان ، تركيا ، الشرق الأوسط) ؛ ولكن المهاجرين من هذه المناطق يشكلون تحديًا كبيرًا لطبقات عريضة فى أوروبا . فالأوروبيون يعتقدون أن المهاجرين المسلمين لا يريدون الاحتفاظ بثقافتهم ودينهم فحسب ، بل يتطلعون أيضًا لنشر الإسلام فى أوروبا ، وهذا رأى يناقض الحقائق التاريخية ، ولكنه على الرغم من ذلك واسع الانتشار . وهناك فضلاً عن ذلك وجهة نظر شائعة نسبيًا ، تقول إن المسلمين قد جاءوا إلى غرب أوروبا بهدف إدخال المسيحيين فى الإسلام (انظر مثلاً : **C.P. Baumann und C. Jaeggi, Muslime unter uns, Luzern 1991**) .

كذلك ، فأخبار الاعتداءات والاغتيالات فى دول مثل الجزائر ومصر ، تؤدى إلى نشر المخاوف فى غرب أوروبا من أن التيارات المتطرفة في الإسلام تكسب كل يوم أرضًا جديدة . وإذا أجرينا اليوم استطلاعًا للرأى فى أوروبا عن هذا الموضوع ، لحصلنا على الأرجح على إجابة من الغالبية العظمى للأوروبيين تقول إن الإسلام يتساوى عندهم مع التطرف . ولا يوجد إلا أقلية صغيرة فقط هى التى تدرك أن مساواة الإسلام بالعنف والتطرف ليست صحيحة .

كما أن حكم القيادة الإيرانية بإعدام الكاتب سلمان رشدى يعتبره ملايين من الأوروبيين دليلاً على أن الإسلام لا مكان فيه للتسامح ، ولا هو يحترم الحقوق الشخصية للإنسان ، ولا يتورع عن استخدام العنف لتحقيق أهدافه .

إننى ألقى محاضرات بصورة مستمرة ، فى مدن سويسرية كبيرة وصغيرة ، عن كتبى التى أعالج فيها الأوضاع السياسية فى الشرق الأوسط ؛ كما أننى أحاضر فى جامعات مختلفة عن موضوع التفاهم بين العالم الإسلامى وأوروبا ، ويواجهنى - بصفة مستمرة- وعلى جميع المستويات الثقافية ، السؤال التالى : ألا يجب علينا - نحن الأوروبيين - أن نداقع عن أنفسنا أمام هذا الإسلام العنيف ؟ فثمة خوف موجود بالفعل ، ولا شك أن سوء الفهم قد أدى إلى تزايد هذا الخوف . والواقع أن هذا الخوف ليس له ما يبرره ، وهو لا يمت إلى الحقيقة بصلة ، ولكنه موجود ومنتشر ، وأعتقد أنه يساهم فى تشكيل الوعى العام للأوروبيين بصورة مخيفة .

غير أن بعض السياسيين فى العالم العربى يشارك أحيانًا فى تقوية حالات سوء الفهم هذه . فهنا ، فى غرب أوروبا ، يتذكر كثير من الناس إعلان صدام حسين «الحرب المقدسة» (هكذا يحرف الأوروبيون لفظ «الجهاد» ويترجمونه خطأ) ، فى أثناء أزمة الخليج ، فى أوائل عام ١٩٩١ ، وأخيرًا ضرورة الدفاع عن الحضارة الإسلامية ضد الحضارة الغربية . وتعود الآراء المنتشرة عن الحضارة الإسلامية فى أوروبا إلى هذا اللفظ بالذات : «الجهاد» فصدام حسين بدا للأوروبيين الغربيين كمدافع عن الإسلام ، وفى نفس الوقت كديكتاتور .

وعند مواجهة جمهور أوروبى ، يصعب حقًا (وأقول هذا عن خبرة عملية) توضيح الحقائق التاريخية المعاصرة : إن سياسيين مثل صدام حسين يستخدمون مصطلحات دينية ، لتبرير أهداف

سياسية ؛ وإن التفاعل بين غرب أوروبا المسيحى، والشرق الأوسط الإسلامى، قائم على اعتداء الغرب على الشرق الأوسط، أكثر من العكس؛ وإن الاستعمار الأوروبى قد ترك جروحًا فى العالم العربى فى هذا القرن، لم تلتئم بعد؛ وإن القومية العربية والسلفية الإسلامية، هما فى جوهرهما استراتيجيتان دفاعيتان، هما رد فعل على تحكم الغرب فى العالمين العربى والإسلامى (اقتصادياً، وعسكرياً، وسياسياً)؛ وإنه يمكن إثبات أن سلوك الغرب تجاه الشرق كان أكثر عدوانية، وأقل سماحة، من سياسة المسلمين تجاه غرب أوروبا؛ وإن القوة والعنف قد ارتبطا أساساً بالغرب، وليس بالشرق .

وأخيرًا ، يتبقى السؤال عما يمكن أن يقوم به الطرفان للقضاء على التوترات والحالات الكثيرة لسوء الفهم . أعتقد أن المعلومات الصحيحة والتنوير يأتيان هنا فى المقام الأول ، وأعنى بذلك : لا ينبغى أن نتصرف هنا فى غرب أوروبا، ولا فى العالم العربى ذى الثقافة الإسلامية، وكأنه لا توجد خلافات بيننا، وكأننا متفقون فى الواقع على كل شىء، لا، فثمة قيم مختلفة، ينبغى علينا أن نحاول توضيحها، وذلك بهدف تكوين احترام متبادل لكل ما يربطنا، ولكن أيضًا لكل ما يفرقنا؛ وإيقاظ الاهتمام المتبادل بالآخر المختلف؛ والتفريق بين الأحكام المبتذلة السطحية، وما يكمن خلفها من حقائق .

٢ - الإسلام فى مرآة الغرب
نموذج برنارد لويس وماكسيم رودينسون
بقلم إريك جيسلينج

تقديم المترجم

من أهم الكتب التى صدرت فى حقل الدراسات الإسلامية فى هذا القرن كتاب إدوارد سعيد «الاستشراق» (١٩٧٨) ، وكتاب دانيل نورمان «الإسلام والغرب» (١٩٦٠) . ويستمد كتاب إدوارد سعيد أهميته ليس فقط من كون مؤلفه عالمًا عربيًا شجاعًا ، ولكن أيضًا لأن إدوارد سعيد خاطب الغرب باللغة التى يفهمها . وتوضيحًا لذلك نذكر أن إدوارد سعيد لم يكن أول عالم عربى يعالج قضية تحيز المستشرقين وغطرستهم ، فقد سبقه فى ذلك علماء آخرون ، منهم على سبيل المثال العالم المصرى الأزهرى محمد البهى ، الذى عالج هذا الموضوع فى كتابه « الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى » المنشور سنة ١٩٥٧ ، ولكن كتاب البهى لم يزعج الغربيين ، كما أزعجهم كتاب العلامة إدوارد سعيد . ولا يقلل هذا من قيمة كتاب الدكتور محمد البهى ، لأنه كتب كتابه أصلاً للقارئ المسلم ، وليس للقارئ الغربى . أما كتاب نورمان دانيل «الإسلام والغرب» فيستمد أهميته من كونه أول كتاب يعرض بأسلوب موضوعى تاريخ المطاعن الغربية فى الإسلام منذ العصور المبكرة وحتى عصرنا هذا . وعند الحديث عن إدوارد سعيد ، فلابد من ذكر الصهيونى برنارد لويس . فإدوارد سعيد كشف فى كتابه السالف الذكر الأساليب الملتوية التى يتبعها بنو صهيون لإخفاء أغراضهم

الحقيقية ، وهذه الأساليب صارت بالنسبة للمتخصصين لعبة محفوظة : فعندما يتحدث بنو صهيون عن الإسلام ، فهم يستخدمون العبارات البراقة التى تبدو من ظاهرها أنها عبارات علمية رزينة ، للوصول إلى نتيجة حتمية ، وهى أن الإسلام دين متخلف ، وأن المسلمين يعادون اليهود والنصارى ، وأن الإسلام ضد الديموقراطية ، وضد الحداثة ، وضد التقدم . والغريب فى بنى صهيون أنهم عندما يتحدثون عن الإسلام ، لا يحددون لنا أى إسلام يقصدون : أهو إسلام الحنابلة ، أم إسلام الأشاعرة ، أم إسلام المعتزلة ، أم إسلام الفلاسفة ، أم إسلام الباطنية ، أم إسلام الظاهرية ، أم إسلام الصوفية ، أم إسلام الخوارج ، أم إسلام السنة ، أم إسلام الشيعة ، أم إسلام أهل الحديث ؟ إن الصهاينة يتشدقون بالألفاظ الضخمة ، ويعطون انطباعًا للغربيين بأنهم خبراء فى شئون الإسلام ، والأصح أنهم خبراء فى الطعن فى الإسلام . يقول إدوارد سعيد فى كتابه «الاستشراق» : «**أن نبحث عن حكم واع، عادل، وصريح لبرنارد لويس عن الإسلام... هو أن نبحث بلا جدوى. فهو يفضل أن يعمل... بالإيحاء والإشارة الغامزة**» . وليس لدينا ما نقوله لبرنارد لويس ورفاقه من بنى صهيون والمتطرفين اليهود سوى ما يلى : لا يوجد شعب فى العالم عامل اليهود بمثل سماحة العرب ، وليتذكر بنو صهيون أن هتلر الذى كان يحرقهم فى الأفران لم يكن عربيًا ، بل أوروبيًا ، وأن الذين ذبحوهم فى أسبانيا بعد طرد العرب منها ، لم يكونوا عربًا ، بل أوروبيين ، وأن الذين قطعوا أوصالهم فى فلسطين أثناء الحملات الصليبية لم يكونوا عربًا ، بل كانوا أوروبيين نصارى . أما العرب ، فقد اتسعت ديارهم ، وما زالت ، لليهود . ويكفى أن نذكر أن أحد وزراء المالية

فى مصر ، قبل الثورة لم يكن يهوديًا فقط بل كان صهيونيًا ، وكان يعيش بين المصريين ، لا فرق بينه وبينهم . وموسى بن ميمون الطبيب والفيلسوف اليهودى الشهير صاحب كتاب «دلالة الحائرين» لم يجد وطنًا يأويه - بعد أن اكتوى بنار الاضطهاد الدينى فى أسبانيا - إلا مصر . ليس هذا فحسب ، بل إن المصريين - بسماحتهم المعروفة - أعطوه فرصته كاملة ، حتى صار الطبيب الشخصى لصلاح الدين الأيوبى . هذه هى سماحة الإسلام ، وأخلاق المسلمين . أما بنو صهيون ، فلا هم لهم إلا قتل عرب فلسطين ، وذبح الإسلام فى جامعات الغرب . والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو : إذا كان ولابد من القتل والذبح ، أفليس من الأولى أن يكون ذلك موجهًا ضد من ذبح اليهود ، وقتلهم على مر العصور ؟ وهل يجوز أن يكون رد اليهود على سماحة العرب والمسلمين تجاههم عبر التاريخ هو القتل والذبح؟

ويستعرض الباحث السويسرى إريك جيسلينج فى مقاله التالى بعض أبعاد العلاقة بين أوروبا والإسلام ، وذلك فى ضوء كتابات هاتينجتون ، وإدوارد سعيد ، وبرنارد لويس ، وماكسيم رودينسون ، وجيل كيبل ، والمقال مفيد من حيث أنه يتعرض لبعض أهم الكتب التى صدرت عن الإسلام فى الغرب . ونحن نأمل أن يكون هذا حافزًا لنا على متابعة ما يكتبه الغرب عنا ، وترجمته ، والرد عليه .

١ - هاتينجتون ونقد نظريته

منذ ظهور مقال صامويل هاتينجتون - الأستاذ بجامعة هارفارد - تحت عنوان «تصادم الحضارات» فى صيف ١٩٩٣ ، فى مجلة

«الشئون الخارجية» ، وهى مجلة ربع سنوية واسعة النفوذ ، لم تنقطع المناقشات فى الولايات المتحدة وأوروبا عن التوترات (الحقيقية والوهمية) بين الغرب والعالم العربى - الإسلامى . وقد نتج عن مقال هاتينجتون حوار علمى شارك فيه عدد من كبار الباحثين ، مثل فؤاد عجمى من جامعة هوبكينز (واشنطن - دى سى) ، أو جين كيرك باتريك . ولم يكن ذلك من قبيل المصادفة ، ولا كان نتيجة لمجرد مجاراة التيار ، لأن رأى هاتينجتون قد مس فى الواقع الأصول الغربية لفهم الذات ، فى عالم يتغير بسرعة . ويمكننا تلخيص رأيه باختصار كما يلى : بعد انتهاء الصراع بين الغرب سابقًا والشرق الأوروبى ، وبعد نهاية الحرب الباردة ، وانهيار أشكال الحكم الشيوعى ، تلاشى خطر اندلاع حروب بسبب الأيديولوچيات المختلفة ، وأصبح الخطر يكمن الآن فى إمكانية وقوع صدامات مسلحة بين الحضارات . فالتصورات المتناقضة ، والقيم المختلفة ، وخاصة الغربية والإسلامية ، قد صارت أكثر وضوحًا . ونتج عن هجرة جماعات بشرية من تركيا والشرق الأوسط وشمال أفريقيا إلى أوروبا حالة من التوتر ، تنطوى على اندلاع صدام واسع بين الحضارتين الغربية ، والعربية-الإسلامية-الشرق أوسطية .

وقد اعترض بشدة على وجهة نظر هاتينجتون بعض كبار العلماء ، مثل البروفيسور فؤاد عجمى (لبنانى الأصل ، ويدرس فى جامعات أمريكية منذ سنوات طويلة) ، وكان هذا الاعتراض مبنيا بصورة رئيسية على الحجة التالية : لا يوجد بين الحضارات (أو الثقافات) حدود قاطعة تفصل بينها ، ولكن كثيرًا ما يكون هناك مناطق انتقالية . وأنا شخصيًا أتفق مع هذه الحجة إلى حد بعيد ،

ويمكننا أن نفهم مثل هذه المناطق الانتقالية على أنها جغرافية من ناحية ، واجتماعية وثقافية من ناحية أخرى . فأسلوب حياة الطبقات المثقفة فى تركيا مثلاً يكاد لا يختلف عن أسلوب حياة الطبقات المثقفة فى غرب أوروبا ، وخاصة فى الدول الأوروبية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط ، والطبقة العليا المثقفة فى مصر أو لبنان تكاد لا تفكر ، ولا تشعر ، بطريقة مختلفة عن الطبقات العليا للمثقفين فى فرنسا وبريطانيا . ويكتب مؤلفون ومؤلفات من شمال أفريقيا (مثل آسيا جبار الجزائرية ، وطاهر ابن جللون المغربى) بمستوى ثقافى عقلانى وثيق الصلة بمستوى الأدب الغربى . والشىء نفسه ينطبق على سلوى بكر ونوال السعداوى من مصر . مع الإشارة دائمًا إلى أن كل أدب - إذا كان مستواه راقيًا - لابد أن يعكس النزاعات الداخلية للمجتمع ، وأنه لا يمكن أن يقوم بمعزل عن خبرات خاصة بشعوب ، وطبقات اجتماعية ، ودوائر ثقافية معينة . ولكن هذا أمر بديهى ، مفروغ منه ، إننى أريد بهذا أن أشير فقط إلى معقولية استدلالات البروفيسور فؤاد عجمى ، الذى شكك فى صحة نظرية الفصل الصارم بين الحضارات كما يفهمها هاتينجتون .

ولكن إذا اعترفنا بقرابة طرق تفكير النخب فى عالم الشرق الأوسط الإسلامى والعالم الغربى ، فينبغى علينا من ناحية أخرى أن نقر أيضًا بأن تكثيف الاحتكاك فى مجالات الحياة اليومية بين المسلمين والأوروبيين قد أدى إلى بلبلة وتوترات يومية . وقد يمكن اجتياز هذه المشكلة بالقول : إن من رأى مشاكل هنا ، فهو لا يهتم بطريقة كافية بالثقافات الأخرى ، أو - كما يفعل كثير من الناس فى غرب أوروبا للأسف - من رأى وراء كل مسلم ، ووراء كل

عربى ، متطرفًا مسلمًا وإرهابيًا محتملاً ، فهو ببساطة غير مطلع . إن مثل هذا الحكم على الأحكام الخاطئة الشائعة لا يجدى نفعًا ، لأن الأحكام الخاطئة قد أصبحت للأسف جزءاً من الشعور اليومى لدوائر واسعة فى غرب أوروبا ، وأخذت طريقها إلى عناوين صحف الإثارة ، وتسربت إلى حجج اليمينيين وبراهينهم ، ولكن أيضًا إلى سياسيين وسط فى كثير من الدول الأوروبية . وقد حلل ذلك العالم الفرنسى جيل كيبل بطريقة رزينة جدًا فى كتابه : (Les Banlieues de l'Islam) الذى وصف فيه تزايد اعتداد الثلاثة الملايين نسمة بأنفسهم ، الذين هاجروا من دول إسلامية إلى فرنسا ، والذين يريدون فى غالبيتهم العظمى أيضًا البقاء فى فرنسا ، وعدم العودة إلى بلادهم ، ويعتبر جيل كيبل هذا الميل إلى البقاء والاستقرار فى فرنسا هو الظاهرة الجديدة حقا . وهى ظاهرة جاءت كرد فعل على أوضاع معينة ، منها تصعيب الهجرة ، وذلك ببساطة لأن هؤلاء المهاجرين المسلمين المقيمين فى فرنسا ، يعتبرون السفر فى إجازة إلى بلادهم محفوفًا بالمخاطر ، لأن العودة إلى فرنسا فى ظل هذه الظروف قد تتعذر . ويشير أيضًا إلى هذه النقطة – أى العلاقة بين الميل إلى الاستقرار والبقاء الدائم ، ومحاولات تقييد إمكانيات الهجرة من قبل الحكومات الغربية – الكاتب السويسرى الشهير أرنولد هوتينجر ، فى كتابه «التطرف الإسلامى» ، ولكنه يضيف قائلاً : «الخطر المباشر الذى ينبغى حقًا أخذه مأخذ الجد فى الدول الغربية ، يكمن فى الأقليات المسلمة المقيمة هناك ، فالمتطرفون المسلمون موجودون بينهم ، والعمال واللاجئون المسلمون فى غرب أوروبا ، الذين يبلغ عددهم حوالى عشرة ملايين نسمة (وهم فى تزايد مستمر) ، هم الأهداف المحتملة للمتشددين

المسلمين . إنهم يسعون إلى استغلال كل استياء أو تذمر للمسلمين فى أوروبا ، وتعبئة هؤلاء المهاجرين المسلمين لتحقيق أهداف المتطرفين» .

والمناقشات المكثفة التى تدور اليوم فى الغرب حول مسألة كيفية التقاء الأشخاص من العالم الإسلامى والعالم الغربى ، ترجع أساسًا إلى كتابين نشرا فى بداية الثمانينات : الكتاب الأول هو كتاب ماكسيم رودينسون «جاذبية الإسلام» ، والثانى هو كتاب برنارد لويس «اكتشاف المسلمين أوروبا» (يعمل برنارد لويس كأستاذ فى جامعة برينستون ، ويدرس ماكسيم رودينسون فى باريس ، وهو أحد مشاهير الباحثين فى فرنسا) .

٢ - برنارد لويس

إن كتاب برنارد لويس «اكتشاف المسلمين أوروبا» جدير بالاهتمام بصورة خاصة للسبب التالى : يحاول لويس فى هذا الكتاب - كعالم غربى - أن يتفهم أسلوب تفكير الإنسان فى العالم الإسلامى ، وفى الوقت نفسه يحاول أن ينظر إلى تاريخ التقاء الثقافتين ، وأيضًا صراعاتهما ، بعيون أجنبية . بيد أن محاولته هذه لم تكلل بالنجاح من جميع النواحى . ففى بداية كتابه يشير برنارد لويس إلى أن النظرة الإسلامية إلى العالم وشعوبه أساسها مختلف عن نظرة الغربيين للعالم : «فحتى القرن التاسع عشر لم يكن المؤرخون والجغرافيون المسلمون يعرفون شيئًا عن الأسماء التى أطلقها الأوروبيون على قارات العالم» . وعلينا أن نعقب على كلام برنارد لويس بملاحظة نقدية : فالأوروبيون -عندما اكتشفوا أمريكا مثلاً ، فى نهاية القرن الخامس عشر وأثناء

القرن السادس عشر – لم يعرفوا شيئًا عن أسماء الدول والجزر التى فتحوها ، بل إنهم لم يريدوا أن يعرفوا عن ذلك شيئًا . إن كريستوف كولومبوس قد تميز هنا – سلبيًا – بصورة خاصة ، عندما أطلق على جزر الكاريبى ، التى وطئتها قدماه ، بكل بساطة أسماء مسيحية – أوروبية (مثل سانتو دومينجو ، وسانتا لوتسيا) . وفعل مغامرون أوروبيون آخرون الشىء نفسه ، عندما وصفوا مثلاً فنزويلا فى أمريكا الجنوبية على أنها مدينة البندقية الصغيرة . ولم يدرك الأوروبيون حجم ما فقد من علم من العوالم المكتشفة ، إلا بعد ذلك بوقت طويل . وأكثر من ذلك أننا إذا عدنا إلى التاريخ ، فينبغى أن نذكر ملاحظة نقدية : فمنذ العصور القديمة المتأخرة ، حتى القرن الحادي عشر تقريبًا ، كان معظم الأوروبيين يستخدمون لفظ **Sarazenen** للإشارة إلى العرب والمسلمين . وحتى نشأة الإسلام ، فقد تجاهلوها لقرون طويلة . بهذا المعنى ينبغى إمعان النظر بأسلوب نقدى فى ملاحظة برنارد لويس عن الاهتمام الذى لا يظهر ، إلا من طرف ثقافة واحدة ، عند التقائها بثقافة أخرى ، فليس المسلمون وحدهم كانوا قليلى الاهتمام بالعالم المسيحى ، بل الصحيح أن عالم المسيحية أيضًا لم يكن ينظر إلى بقية العالم ، إلا من خلال وجهة نظره . وقد أشار برنارد لويس من ناحية أخرى بوضوح إلى تطور النظرة الإسلامية للعالم ، حيث يقول : «تنقسم الإنسانية فى الرؤية الإسلامية للعالم بطريقة حاسمة إلى دار الإسلام ودار الحرب» .«ولكن منطق القانون الإسلامى لا يعترف بالوجود الدائم لأى جماعة أخرى خارج نطاق الإسلام . فحسب الرؤية الإسلامية ، ستدخل الإنسانية جمعاء فى الإسلام يومًا ما ، أو ستخضع للسيادة الإسلامية» .« ولذلك فقد كان تحقيق

معاهدة سلام بين دولة إسلامية ودولة غير إسلامية مستحيلاً ، تبعًا للنظرية القانونية فى الإسلام . ويحاول برنارد لويس هنا أن يصف حالة العالم الإسلامى فى القرنين الأول والثانى بعد نزول القرآن . وبعد ذلك يلقى نظرة على القرون التالية : «إن الدولة الإسلامية الكبرى الموحدة ، التى نشأت مبدئيًا فى القرنين الأول والثانى بعد الهجرة انقسمت إلى دويلات صغيرة . وانتهى الجهاد الجامح والمتواصل . ومع مرور الوقت تطورت بين عالم الإسلام وبقية العالم علاقة تسامح متبادل ، وظل العالم الإسلامي يعتبر بقية العالم دار حرب . بيد أن إخضاع بقية العالم تم إرجاؤه من السياق التاريخى إلى عصر لاحق يتحقق فيه الخلاص . وبصفة عامة فقد أقيمت حدود ثابتة بين الدول الإسلامية والدول غير الإسلامية ، كان السلام ، وليس الحرب ، هو الحالة الطبيعية السائدة عليها» . وبالإضافة إلى ذلك ، يشير برنارد لويس إلى تفسير العلماء المسلمين الذين أعلنوا أنه يمكن تكرير تجديد الهدنة بين دار الإسلام ودار الحرب حسب الحاجة ، بحيث تقوم واقعيًا حالة من السلام الموضوع تحت المراقبة . لقد أمضى برنارد لويس أكثر من عقدين من الزمان فى دراسة نظرة العالم الإسلامى التاريخية للغرب . والمختارات الكثيرة من النصوص الأصلية فى كتاب برنارد لويس «اكتشاف المسلمين أوروبا» تقرب القارئ الغربى أيضًا من طريقة تفكير المسلمين فى الفترة الواقعة بين القرن السابع والقرن التاسع عشر ، ولكن السؤال الذى يطرح نفسه هنا هو : هل نجح برنارد لويس حقًا فى كتابه هذا من إطلاع قرائه الغربيين على طريقة تفكير العالم الإسلامى ونظرته للأمور ؟ أو بعبارة أخرى : **ألا يظل تفسير برنارد لويس، المتأثر بالطابع الغربى،**

مسيطرًا بالضرورة على دراسته؟ بل أليس كتابه في نهاية الأمر تفسيرًا غربيًا لأسلوب التفكير الإسلامي، أكثر من كونه عرضًا للنظرة الإسلامية للغرب؟ يقينًا ، كان من الممكن فى نهاية القرن الثامن عشر ، أثناء الاحتلال الفرنسى النابليونى لمصر ، وبناء على المكتبات الموجودة فى ذلك الوقت ، إثبات أن الكتب التى ألفها الغربيون عن العالم الإسلامى ، كانت أكثر بكثير من تلك التى ألفها المسلمون عن الغرب ، ولكن ما معنى ذلك حقًا ؟ يقول برنارد لويس : «**كان موقف المسيحية من الإسلام أكثر تطرفًا وأقل تسامحًا، من موقف المسلمين من المسيحية. أما أسباب ذلك التسامح الإسلامي العظيم، فبعضها ديني - تاريخي، وبعضها الآخر ذات طبيعة عملية. فرسول الإسلام محمد ﷺ عاش بعد المسيح بستة قرون تقريبًا. وكان كل من المسيحيين والمسلمين يعتبر أن دينه ووحيه يمثلان كلمة الله الأخيرة للإنسانية. بيد أن التسلسل التاريخي حدد الفرق بين نظرة كل منهما إلى الآخر. فالمسيح كان بالنسبة للمسلمين بشيرًا ونذيرًا، بينما كان محمد ﷺ بالنسبة للمسيحيين دجالاً. وبدت المسيحية للمسلمين كصورة مبكرة وناقصة ومتقادمة للدين الصحيح. ولكن تسامح المسيحيين مع الإسلام كان سيعنى الاعتراف بوجود وحي بعد المسيح، وبكتاب مقدس بعد الأناجيل. ولم يكن المسيحيون مستعدين للاعتراف بذلك**» .

ويعرض برنارد لويس الجوانب المختلفة للعلاقات بين الإسلام وأوروبا ، ويوضح أن الأمر كان يتعلق دائمًا بالحوار بين الطرفين ، فى فترات الحرب وعصور السلام : فقد كان هناك اكتشاف متبادل بين الحضارتين . ولكنه يلمح إلى أن اهتمام الأوروبيين بالعالم العربى فى النهاية كان أكبر من اهتمام المسلمين بأوروبا . وقد أدى هذا الموقف العام إلى إضرام جدل عنيف فى السنوات التى تلت نشر كتاب برنارد لويس «اكتشاف المسلمين أوروبا» (١٩٨٢) .

٣- إدوارد سعيد

قام إدوارد سعيد - وهو أستاذ فلسطينى الأصل ، يدرس فى الجامعات الأمريكية منذ عدة سنوات - فى كتاب بعنوان «الاستشراق» بالتشنيع على الدراسات الإسلامية التى يقوم بها أساتذة غربيون ، واتهم المستشرقين بالغطرسة والتطاول ، لأن ادعاء المستشرقين بأنهم وحدهم الذين يعرفون كل شىء عن تاريخ المسلمين وأسلوب تفكيرهم يظهر بالفعل فى الكثير من أعمالهم . وكتب البروفيسور إدوارد سعيد بأسلوب ساخر ، ونبرة هجومية ، عن التصورات المبتذلة الخاطئة التى تكونت فى الغرب عبر قرون طويلة ، وربما ما زالت تتكون عن العالم الإسلامى . وهاجم إدوارد سعيد الغرب لأنه صور العالم العربى بطريقة رومانسية أكثر مما يجب ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى يقوم الغرب بلعن نفس هذا العالم وشتمه واعتباره ناقصًا .

وقد أدى هذا النقد فى الحال إلى حلقة جديدة من الجدل بين الباحثين العرب المسلمين والباحثين الغربيين . ويمكن تلخيص هذا الجدل فى صورة سؤال بسيط : هل يمكن للمرء أن يتعرف كلية على مجتمعه بجميع أوصافه المختلفة ؟ وهل يستطيع الإنسان أن يصف هذا المجتمع وصفًا موضوعيًا ؟ أم أن هذا مستحيل لأن كل كاتب من هذا المجتمع هو جزء منه ، وبالتالى لا يرى العناصر الأجنبية فيه ؟ ولو كان ذلك كذلك لكان ينبغى استخدام ما يسمى بالرؤية الاتنولوچية (الاتنولوچيا هو علم دراسة خصائص الشعوب والثقافات المختلفة) ، فلا يصح فى هذه الحالة إلا وصف المجتمع بعيون أجنبية . هكذا يتم تطبيق علم الاتنولوچيا - على

الأقل من الناحية النظرية – لأنه واقعيًا عند كل بحث ميدانى يقع الباحث نفسه فى مأزق : فهل هو مشارك فى حدث ما ، وإلى أى حد ؟ وهل هو مشارك فى تطوير ما فى مجتمع معين ؟ وإلى أى حد يشارك بوجوده فى تحقيق هذا الحدث ؟

٤- ماكسيم رودينسون

وقد ظل المستعرب الفرنسى الكبير – ماكسيم رودينسون – إلى حد ما على هامش الجدل المحتدم حول الاستشراق كما يعرفه البروفيسور إدوارد سعيد . ويمكن تفسير ذلك فى المقام الأول من خلال حقيقة أن ماكسيم رودينسون كان دائمًا يميل إلى نقد الموقف الأساسى للغرب فى أبحاثه العلمية عن العالم الإسلامى . وقد وصف ماكسيم رودينسون بعض مراحل النظرة الغربية للعالم الإسلامى كما يلى : فى القرون الأولى بعد ظهور الإسلام تجاهل الغرب إلى حد بعيد هذا الحدث الجديد . وكان من علامات ذلك اللفظ الواسع الانتشار السابق ذكره **Sarazenen** الذى استخدمه الأوروبيون لوصف العرب والمسلمين حتى القرن الحادى عشر تقريبًا . وتبع ذلك عصر الحملات الصليبية ، ومحاولة نشر المسيحية فى ديار الإسلام ، والصراع بين مسيحية توسعية مسلحة فى أسبانيا والدولة الإسلامية هناك . وبصفة عامة كان الأوروبيون فى العصور الوسطى المسيحية ، وأيضًا فى عصر النهضة ، يعتبرون المسلمين متساوين معهم ، وكثيرًا ما كانوا ينظرون إليهم على أنهم متفوقون علميا وثقافيا . وعندما امتدت الإمبراطورية التركية العثمانية حتى حدود ڤيينا ، ازدادت المخاوف ، ولكن بعد هزيمة الأتراك أمام أسوار ڤيينا (سنة ١٦٨٣ م) تغيرت الأحوال ، فصار

الأوروبيـون ينظرون إلى الأتراك (ولفظ أتراك هنا كـثـيـرًا مـا كـان يشمل العالم العربى - الإسلامى أيضًا) على أنهم خصم مهزوم . ومن ناحية أخرى تغيرت صورة النبى ﷺ عند المثقفين فى غرب أوروبا : ففى القرن الثامن عشر اعتبر محمد ، من قبل ڤولتير مثلاً ، شخصية تقدمية ، ومثلاً روحانيًا أعلى . وبعد ذلك بقرن من الزمان بدأ التحول السلبى - حسب تفسير ماكسيم رودينسون - : فقد ازداد تغلغل الغرب فى العالم العربى - الإسلامى بصورة قوية ، وخاصة من خلال الاستعمار الفرنسى والبريطانى . وتطور فى الغرب - حسب رودينسون - موقف عدائى تجاه العرب والمسلمين . وانتهى الحديث عن المساواة والاحترام : وصار العرب والمسلمون أهدافًا للتوسع الغربى ، وأصبحوا يُستخدمون كمنفذين للمصالح الغربية العسكرية والاقتصادية ، أو يحاربهم الغرب إذا أعاقوا تحقيق مصالحه .

٥ - خاتمة

كان هذا بالنسبة لكتابى برنارد لويس وماكسيم رودينسون . وقد ظهر هذان الكتابان ، قبل سنوات من ظهور موجة الكتب الجديدة عن تقارب أو تباعد العالمين : الغربى من ناحية ، والعربى -الإسلامى - التركى - الإيرانى من ناحية أخرى . وفى بداية الثمانينات تقريبًا ، عندما نشر الكتابان المذكوران ، لم يكن برنارد لويس وماكسيم رودينسون يدريان أن هجرة المسلمين من تركيا وشمال أفريقيا إلى أوروبا ، ستتحول إلى مشكلة أساسية فى غرب أوروبا . وفى السنوات الأخيرة قام كتاب مثل أرنولد هوتينجر وجيل كيبل ، بدراسة هذه المشكلة بصورة مكثفة ، محاولين تخفيف حدة التوتر ، وتبديل الشعارات الجوفاء بالحقائق الثابتة .

٣ - الشرق الأوسط - بؤرة الصراعات

بقلم: إريك جيسليبج وأرنولد هوتينجر

الفصل الأول: دار الإسلام ودار الحرب

جيسلينج: أرنولد هوتينجر ، ماذا يعنينا - أنا وأنت - الشرق الأوسط بالضبط ؟ لماذا نولى هذه المنطقة اهتمامًا خاصًا ؟ ماذا يجذبنا فيها ؟ ما الذى يفتنك فى هذه المنطقة ؟

هوتينجر: ما جذبنى وسحرنى فى البداية كان الثقافة **الأخرى** ، ليس الأوروبية ، ولكن على الرغم من ذلك ، ثقافة قريبة نسبيًا لنا . لقد سافرت لأول مرة إلى تونس ، عندما كنت شابًا صغيرًا ، فصدمنى وجود أشخاص مختلفين جداً عنا ، ثقافة غريبة جداً ، وعالم مجهول بالنسبة لنا . وبعد ذلك أردت أن أعرف كيف تسير الأمور هناك ، كيف تعمل الآلة الداخلية لهذا العالم ، وكيف يفكر إنسان هذا العالم الآخر .

ولكن إذا سألت عما يهمنا كلنا اليوم فى هذه المنطقة ، فهناك إجابات كثيرة . لقد عايشت تزايد الاهتمام بالشرق الأوسط . لاشك أن اليهود كانوا فى البداية أكثر الناس رغبة فى معرفة شئون الشرق الأوسط ، وكذلك كل من يهتم بإسرائيل . وبعد ذلك بفترة طويلة ، سنة ١٩٧٣ ، حدثت أزمة البترول ، وأثارت فجأة اهتمامًا واسعًا جداً : فقد لاحظ كل السويسريين : «**إن هذا الأمر يمسنا، ويؤثر فينا بصورة مباشرة، إنه يخص اقتصادنا؛ فنحن أيضًا علينا أن نساهم فى استقرار هذه المنطقة، حتى نتحاشى وقوع أى أزمات محتملة**» . وظهر اهتمام سويسرى شامل على نطاق واسع

بمنطقة الشرق الأوسط ، حتى أن السلطات نفسها أصبحت فجأة تتطلع لمعرفة المزيد من التفاصيل عن الشرق الأوسط ، بيد أن هذا التطور تراجع الآن قليلاً ، ولكنى أعتقد على الرغم من ذلك أن ثمة شيئًا قد تبقى من كل ذلك ، وهو إدراك السويسريين بأن هناك جارًا هامًا ، بل هو جار استراتيچى ، إذا نظرنا إلى الدول الأوروبية الأخرى بعين الاعتبار ، فالدول الأوروبية الأخرى - وخاصة إنجلترا وفرنسا - كان لها فى منطقة الشرق الأوسط ذاتها مستعمرات ، ومن هنا فقد كانت هذه الدول تعرف منذ البداية أن هذه المنطقة هى حلقة وصل هامة بين الشرق والغرب .

ومنذ أوائل القرن الثامن عشر كان هناك سياسة القوى العظمى التى اهتمت بهذه المنطقة . وقد أرادت القوتان العظميان فى ذلك الوقت - إنجلترا وفرنسا - أن تتحاشيا سيطرة خصومهما على هذه المنطقة . فكل منهما حاولت وقف نفوذ الأخرى ، والاثنتان معًا حاولتا التصدى لنفوذ الروس . وبعد ذلك ، بعد الحرب العالمية الثانية ، انضم الأمريكيون إلى هذه القوى ، بسبب البترول فى المقام الأول . وقد جاء مع الأمريكيين أيضًا منافسهم : الاتحاد السوڤيتى . ففى سنة ١٩٥٥ بدأ الاتحاد السوڤيتى يتغلغل فى المنطقة ، عن طريق بيعه أسلحة للمصريين فى ذلك الوقت . وقد ظل الروس كمنافسين للأمريكيين ، فى منطقة الشرق الأوسط حتى سنة ١٩٩١ ، ولكن يبدو أن هذا التنافس قد انتهى الآن ، وهذا تحول هام جداً . وقد دام هذا التنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوڤيتى أكثر من ٣٥ عامًا ، واهتم المتخصصون فى السياسة الخارجية ، والدبلوماسيون والسياسيون ، بصورة خاصة بهذه المنافسة بين القوتين العظميين . وظلت هذه المنافسة لفترة

طويلة القاسم المشترك الذى كان من الممكن إرجاع كل شيء إليه . وكان المراقبون السياسيون يهتمون بصورة خاصة بمعرفة إذا كان الأمريكيون قد حققوا أى نجاح فى الشرق الأوسط ، أم الروس . وقد اعتنى المراقبون السياسيون قبل كل شيء بالصراع بين القوتين العظميين فى مناطق النفوذ المشتركة ، كما قيل فى ذلك الوقت ، ويبدو أن كل ذلك قد انتهى الآن .

جيسلينج : ما يفتننى شخصيًا هو تزامن القرب والبعد . إن هذه المنطقة بصراعاتها تثير فى نفسى أحاسيس متناقضة . فمن ناحية ، هناك الجوار الجغرافى ، فنحن نصل إلى الشرق الأوسط فى خلال ثلاث ساعات ونصف ، أو أربع ساعات ، وفى ساعتين فقط نكون قد وصلنا إلى تونس . إنها منطقة قريبة جدًا منا فى واقع الأمر ، ومن ناحية أخرى ، فهو عالم له تصوراته الخاصة عن القيم التى يصعب علينا أن نفهمها ونتأقلم معها . وعلاقتنا بهذا العالم منقسمة بطريقة غريبة جدًا . فهناك الوصف الذى يضفى على الشرق الأوسط رومانسية مبالغًا فيها ، وكذلك على العروبة ، وكل ما هو عربى ، حتى نصل إلى الاستشراق . والمقصود بذلك هو إبراز كل ما هو جميل وشريف ورومانسى ، وكذلك الشهوانية المزعومة فى العالم العربى ، والعقلية العربية . وقد فاض القرن التاسع عشر حقًا بمثل هذه الكتابات ، فقد كتب جيرارد دى نيرفال **Gérard De Nerval** رحلة إلى الشرق **Reise in den Orient** . ولكن ليس هو فحسب ، ولذلك نجد لدينا من ناحية هذه الصورة التى تضفى على المنطقة جمالاً مبالغًا فيه ، ولكن من ناحية أخرى تبدو هذه المنطقة رهيبة ومخيفة ، ولا يمكن التنبؤ بردود فعلها مسبقًا . وهناك زعم بأن سكان هذه المنطقة يتصرفون

عاطفيًا ، وليس عقلانيًا ، وهو ما اعتبره هُراء . فالتفكير المنطقى موجود فى العالم العربى اليوم بنفس القدر الموجود به عندنا فى الغرب ، ولكن القيم والمعايير مختلفة . وبالإضافة إلى ذلك ، فإنى أشعر بأحاسيس متناقضة ، بمعنى : إننا - كأوروبيين - نشعر بتحمل جزء من المسئولية فى موضع ما ، ويرتبط هذا الإحساس بتأسيس دولة إسرائيل ، وكذلك بالاستعمار . فهناك عدد وفير من خطوط الصراعات المتشابكة طولاً وعرضًا ، يصعب تنظيمها ، والفصل بينها . وهذا يثير لدينا إحساسًا بالفتنة والإعجاب ، ولكن أيضًا بالاستغراب والتعجب . ثم تأتى نقطة ثالثة بالإضافة إلى ذلك ، صحيح أننا كنا جميعًا نعرف هذه الحقيقة ، ولكننا لم نكتشفها حقًا ، إلا عندما تولى آية الله الخمينى الحكم فى إيران . فالعالم العربى لديه نظام أولويات آخر مختلف عن نظامنا . فنحن نفترض أن الحرية هى أسمى ما يمكن أن يمتلكه المرء ، ونحن نتقبل كنتيجة لذلك عدم الأمان الناتج عن ذلك . فنحن مسئولون عن كل عمل من أعمالنا ، ونحن أيضًا مستعدون - إذا لزم الأمر - أن نتحمل عواقب ذلك . أما العالم الإسلامى فى الشرق الأوسط ، فقد علمنا أنه من الممكن أن يكون هناك نظام آخر للأولويات ، أى انعدام الحرية الذى يؤدى من ناحية أخرى إلى الشعور الداخلى بالأمان واليقين . كان آية الله الخمينى يقول : « **إذا فعلت هذا، فأنت تتقرب إلى الله قليلاً، أما إذا لم تتبع ذلك، فإنك تبتعد عن الله** » . ويمنح هذا النظام الأفراد إحساسًا عميقًا بالأمان والطمأنينة (وهذا شىء لا يفهمه الكثيرون هنا فى الغرب) .

هوتينجر : فى الواقع أن هذا هو انقسام هذين العالمين ، عالمنا الغربى والعالم الإسلامى ، الذى حدث على مر التاريخ . ولنأخذ

فكرتك ، يا أستاذ جيسلينج ، عن الحرية وانعدامها . فنحن أيضًا كان لدينا فى الماضى حضارة يحكمها فى المقام الأول الدين وأوامره ، والكنيسة التى كانت تقول : « **هذا مسموح لك فعله، وذاك غير مسموح** » . وفى الإسلام ما زال الوضع هكذا إلى حد مذهل . فمنذ نهاية القرون الوسطى (أى من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر الميلادى) ، تطورت الحضارتان فى اتجاهين مختلفين . فعلى أحد جانبى البحر المتوسط ظهرت حركة النهضة والإصلاح والتنوير ، وجعلت الأولوية للعقلانية والتكنولوچيا ، وأخيرًا الثورة الصناعية . وعلى الجانب الآخر للبحر المتوسط ، ظلت الصورة الدينية الإلهية للعالم قائمة كما هى ، ولم يتحول البحر المتوسط إلى خندق كبير ، إلا من خلال هذا التطور . صحيح أن قبل هذا التطور كان هناك ديانتان ، لم تعترف أية منهما بالأخرى . فدانتى قد اعتبر محمدًا ﷺ زنديقًا ، ولا شك أن المسلمين أيضًا كانوا ينظرون إلى المسيحيين باحتقار . ولكن فى الواقع كان هناك ، على الرغم من ذلك ، حضارتان فى العصور الوسطى ، كانتا متشابهتين من حيث أنهما كانتا محكومتين بالشريعة أو القانون الإلهى . وكانت كل منهما تعرف الأخرى ، وخاصة بالنسبة للمسلمين ، لم يكن المسيحيون غرباء على الإطلاق ، فقد عاش المسيحيون فى الدول الإسلامية كطائفة دينية معترف بها ؛ صحيح أنهم كانوا أقل منزلة من المسلمين ، ولكنهم كانوا خاضعين لحمايتهم . **ولم يظهر هذا الخندق الكبير، الذى لم يعد من الممكن عبوره حتى يومنا هذا، إلا عندما بدأنا فى الغرب تطورًا عقلانيًّا سريعًا، عن طريق ديكارت مثلاً ، وفصلنا بين الدين والعقلانية، وعندما ننظر اليوم إلى الإسلام، فكثيرًا ما يخاطب هذا الأوتار الرومانسية فى نفوسنا، ذلك**

لأننا نسترجع أيضًا ماضينا، ونتذكر الأمانَ والانسجام، اللذين كانا موجودين في العصور الوسطى، على الرغم من كل الفظاعة والفقر. فرومانسيتنا هي أيضًا استرجاع لماضينا في القرون الوسطى . ولم يأتِ اكتشاف الرومانسيين للتراث الغوطى عبثًا ، وفى الوقت نفسه اكتشافهم تعدد الشعوب وتباينها . إن تراثنا الرومانسى له علاقة مباشرة بالاهتمام بالشعوب الأخرى ، والعصور التاريخية المختلفة ، ولذلك ربما ينبغى أن نعترف **أن جاذبية الإسلام لها علاقة بجوانب من تاريخنا** ، وكذلك بالبحر المتوسط الذى شهد تصادم الحضارتين مرارًا وتكرارًا . وأخيرًا ترتبط جاذبية الإسلام أيضًا بتاريخ أوروبا فى العصور الوسطى . ويرى المرء فى انعكاس معقد الأوضاع التى من المرجح أنها كانت أيضًا عندنا فى الماضى بعيوبها ومميزاتها التى انتهت منذ زمن طويل .

جيسلينج : ألا تستغرب أيضًا من قلة ما عرفته كل حضارة عن الحضارة الأخرى ؟ صحيح كان هناك اتصالات بين الحضارتين منذ فجر الإسلام ، ولكن عندما نقرأ تقارير الدبلوماسيين أو الرحالة عبر التاريخ ، نلاحظ أن التعجب والاستغراب كانا فى الواقع هما العنصرين المسيطرين دائمًا ، فقد اعتبر كل فريق الجانب الآخر غريبًا . ونادرًا ما كان هناك دراسات متعمقة من أحد الطرفين عن الطرف الآخر . وقد لاحظ الجانبان المظاهر الخارجية ، وأدركا أنهما يعيشان فى عالمين مختلفين . ويوجد فى الإسلام تفريق واضح من الناحية اللغوية : دار الإسلام ، ودار الحرب . فدار الإسلام هى عالم أو بيت الإسلام . والإسلام يعنى الخضوع والقبول ، ودار الحرب هى العالم الأجنبى الغريب ، وهذا لا يعنى أنه كانت هناك حروب دائمة مع هؤلاء الأجانب الغرباء ، فالواقع أن فترات الحرب

بين هذين العالمين كانت قصيرة إلى درجة مذهلة ، ونادرة إلى حد بعيد ، فالعداء بين الطرفين كان وهمًا وخيالاً أكثر منه حقيقة وواقعًا . ومن المرجح أن الطرفين قد افترضا أن هناك ما يشبه منطقة نفوذ مشتركة بينهما ، كحل وسط فيما بينهما ، وهى منطقة كان يوجد بها نوع من التسامح المتبادل . وبصفة عامة ظلت الحدود الفاصلة بين العالمين قائمة من الناحية النظرية . ولكن ما يشغلنى بصورة دائمة هو : قلة ما يعرفه كل طرف عن الطرف الآخر .

هوتينجر : أعتقد أنه ينبغى أن نتوخى الدقة فى هذا السياق ، فالمسلمون لم ينظروا إلى النصارى كمثل أعلى لهم . وكانت المسيحية بالنسبة لهم ديانة ناقصة ، وبذلك ثقافة ناقصة أيضًا . وقد كان ذلك هو الواقع بالفعل لمدة طويلة . وعندما يكون المرء أولاً هو صاحب الثقافة المسيطرة والأقوى ، يتكون لديه نوع من الاحتقار للثقافة الأضعف ، ويظل هذا الاحتقار قائمًا لفترة طويلة أيضًا ، حتى عندما تنقلب الظروف ، وتزداد الثقافة الأضعف سابقًا بالفعل قوة وأهمية . وهذا هو ما حدث للمسلمين . فقد كانت أوروبا تزداد قوة وأهمية . نعم ، لقد ظل العثمانيون متفوقين من الناحية العسكرية ، لقرون طويلة ، وكان المسلمون يعتقدون ، حتى أواخر القرن الثامن عشر ، أن الدول الأوروبية فى الواقع عديمة الأهمية ، وأنهم ليسوا بحاجة إلى الاهتمام بها . فالمسيحيون واليهود كانوا معروفين من قديم للمسلمين ، الذين كانوا يحكمون الطوائف المسيحية واليهودية فى بلادهم . فقد كان هناك أهل الذمة فى الإسلام من المسيحيين واليهود وغيرهم ، وهم الذين هزموا أمام المسلمين وخضعوا لهم . ولكن حدث فى أوروبا تطور عكسى ، فعندى جد بعيد كان اسمه يوحنا يعقوب هوتينجر ، ترجم القرآن ،

قبل أن يهتم المسلمون بالديانة المسيحية بفترة طويلة . ومع روح النهضة والبحث عن طريق إلى الهند ، الذى كان بالمناسبة معروفا للمسلمين منذ قرون طويلة ، وبالأصح مع روح التنوير ، ظهر فى أوروبا اهتمام بالثقافات الأخرى ، وبدأ الأوروبيون ينظرون إلى هذه الحضارات ، كشىء مختلف جداً ، ولكن فى نفس الوقت له صلة وقرابة بهم ، شىء يمكن للمرء أن يرى نفسه فيه ، وأن يتعلم منه . شىء يوفر معرفة جديدة ، ولذلك يستحق أن يهتم المرء به . هذه روح جديدة ، كانت موجودة بالتأكيد فى فجر الإسلام ، ولكنها تكاد تنعدم فى العصور المتأخرة . ولم يرَ المسلمون أنفسهم مضطرين إلى التعلم من الأوروبيين ، واقتباس بعض عناصر الحضارة الأوروبية إلا فيما بعد ، عندما ظهر تفوق الأوروبيين بصورة واضحة جداً . ولكن هذا لم يكن عن رغبة وحب ، لم يكن نابعًا من موقف أساسى : إننى أريد أن أعرف أكثر ، إننى أحب المعرفة ، أريد أن أعرف حال الآخرين . بل حدث ذلك إجبارياً ، حيث نتج عن تفوق قوة الأجانب من الأوروبيين والنصارى ، ولذلك كان هذا دائمًا تحت عنوان الفرض والواجب . يجب أن يتعلم المرء من الآخرين ، ولا يحدث هذا عن رغبة ، ولذلك يتم على كراهية فى حقيقة الأمر . فليس هناك بحث علمى ، ولكن تقليدًا ، واقتباسًا إجبارياً . ويبدو لى أن هذه حقيقة ثابتة استمرت خلال كل تاريخ القرن التاسع عشر ، وحتى يومنا هذا . وقد انتهجت الحضارتان اتجاهين مختلفين فى الواقع ، وذلك لأن المسلمين كانوا فى البداية متفوقين ، ثم خلدوا إلى الراحة على ما حققوه من نجاح . وهكذا استرخى المسلمون ، ولم يشعروا بأى حافز يدعوهم للاهتمام بالحضارات الأخرى . بينما حدث عكس ذلك مع الحضارة

الأوروبية ، التى بدأت منذ عصر النهضة تنطلق نحو الخارج ، وتهتم بالحضارات الأخرى . ونفس الشيء حدث أيضًا فى مجال التجارة ، فتجار مدينة البندقية كانوا يذهبون إلى الإسكندرية ، ولكن الأسكندريين لم يذهبوا إلى مدينة البندقية . لقد كان حب المعرفة فى عصر النهضة الأوروبية شيئًا غير مألوف ، أدى إلى تغيير علاقة الحضارتين بعضهما ببعض فى أوروبا .

جيسلينج : عندى ملاحظتان على ما ذكرته . فى العصور المبكرة ، عندما حدثت اتصالات بين أوروبا والعالم الإسلامى ، اعتبر العرب الذى جاءوا إلى أوروبا فى ذلك الوقت ، التنوع والتعدد الموجودين عندنا : تعدد اللغات ، وتنوع الثقافات ، قصورًا وتخلفًا . وذلك لأنهم كانوا يرون : إنه أينما وجدت حضارة فينبغى أن يكون هناك لغة واحدة ، وثقافة واحدة ، وأيضًا فى الواقع دين واحد . فوحدة الشيء والتوحيد الذى ننظر إليه – بتفكيرنا الغربى – على أنه شيء سلبى يعتبره المسلمون شيئًا إيجابيًا ، وينظرون إلى التعدد والتنوع عندنا على أنه شيء همجى . والملاحظة الثانية هى تكملة لما ذكرته أنت ، كما يلى : فمن ناحية نجد أن الإسلام يمنع قبول البدع ، حيث ينبغى رفضها . ومن ناحية أخرى فهناك سماح ، أو قاعدة استثنائية تقول : إذا تمكن المرء عن طريق البدع من تقوية نفسه ، أى إذا اتخذ المرء على سبيل المثال تكنولوچيا الأسلحة من الأعداء الأجانب ، فيكون هذا مسموحًا به ، وعند الحديث عن فضيحة كونترا – إيران أجد نفسى مضطرًا للتفكير فى هذه المسألة على الدوام . فهذا تمامًا ما قام به الإيرانيون هنا ، لقد حاولوا أن يبتعدوا عن الغرب ، وعلى الرغم من ذلك قبلوا الأسلحة من الأمريكيين .

هوتينجر : وهذه حقيقة ثابتة يمكننا ملاحظتها منذ نهاية القرن الثامن عشر ، عندما وجد العثمانيون أنفسهم مضطرين إلى اقتباس الأنظمة الحربية من الجيوش الأوروبية ، ثم الأسلحة ، ثم الزى ، ثم الصناعة التى تنتج هذا الزى والبارود ، وهكذا بدأ التيار الجارف لما يطلق عليه «التغريب» . بالتأكيد ما زال الوضع هكذا مع البدع حتي اليوم . لقد حدث تغيير عبر التاريخ الإسلامى ، فهناك اتجاه متزايد لفهم لفظ «بدعة» على أنه شىء سلبى . وثمة رغبة واضحة فى الاقتداء بالمثل الأعلى القديم لرسول الله ﷺ . فكل جديد يعتبر غير دينى ، وبالتالى مشكوك فيه ، وهذا إنتاج العصور المتأخرة التى لم تعد قادرة على الإبداع ، أما قبل ذلك - فى القرنين التاسع والعاشر بعد الميلاد - فقد كان هناك مناقشات مكثفة ، واختراعات جديدة ، فى ذلك الوقت كان هناك فلسفة إسلامية . . .

جيسلينج: حتى أغلق باب الاجتهاد .

هوتينجر : بالضبط ، وقفل باب الاجتهاد هو بالتأكيد بداية عصر جديد فى تاريخ العقلانية فى الثقافة الإسلامية . وهو على الأقل أحد أسباب الجمود القائم من ذلك الوقت . وقد استمر هذا الجمود حتى عصر النهضة العربية فى أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين . والواقع أن هذا الجمود ما زال مستمراً حتى الآن . ففى الجامعات مثلاً ، هناك انطباع بأنه لا يوجد نظام تعليم عربى ، وربما لا يوجد أيضًا نظام إسلامى ، يمارس البحث العلمى بالمعنى الأوروبى حقًا . لقد اقتبس اليابانيون نظام البحث العلمى الأوروبى ، ولكن ثقافات أخرى غير الأوروبية ، وهذا يتعدى

الإسلام بكثير ، لم تفعل ذلك ، أو فعلته فى حدود ضيقة ، ويعود سبب ذلك إلى استمرار العلاقة التقليدية بالعلم : فالمرء يتعلم من كتاب ، ويحفظ هذا الكتاب ، ويتقن ما فيه ، ويصير بذلك عالمًا . فلفظ «علم» فى اللغة العربية يعني العلم الموجود ، ونتائج البحث العلمى فى الوقت نفسه . وهذا النوع من العلم يمكن تعلمه عن طريق الحفظ والاستيعاب . ولكن بحث واكتشاف شىء جديد ، وإضافة معلومة جديدة لثروة العلم القائمة ، هذا قد ظل فى الإسلام دائمًا شيئًا مريبًا[1] . حدث هذا منذ إغلاق باب الاجتهاد المذكور فى أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر . والتاريخ الرمزى لذلك هو تاريخ وفاة الصوفى الكبير الغزالى سنة ١١١١ ميلادية . ويمثل هذا التاريخ تقريبًا نهاية عصر ازدهار الحضارة الإسلامية . ولم يبدأ ازدهار الحضارة الأوروبية إلا فى ذلك الوقت . وعندما جاء العرب إلى أسبانيا بعد سنة ٧٥٠ م ، كان تنوع الشعوب التى قابلها العرب هناك متخلفًا جدًا . وكان بإمكان العرب فى ذلك الوقت أن ينظروا بكل ثقة باحتقار إلى هؤلاء الهمج . ولكن العرب لم يأخذوا علمًا حقًا بما حدث فى أوروبا من تطور منذ ذلك الوقت ، حتى جاء الوقت الذى كانوا مجبورين فيه على فعل ذلك ، وعندئذ كان الوقت متأخرًا ، وفات الأوان تقريبًا .

جيسلينج : إن الجمود ظاهرة من الممكن أن يكون رد فعلنا تجاهها

---

(١) يجب التمييز بين «الإسلام» وكذلك «العربية» – وفيها العلم فريضة ، وهو تدبر وتفكر ونظر وإبداع .. والبدعة المرذولة هى فقط البدعة فى الثوابت الدينية – وخاصة العبادات – بينما الإبداع فى شئون الدنيا وميادين العلم ليس بدعة مرذولة ، وإنما هو التجديد ، الذى هو سنة وقانون ، وليس مجرد مباح .. وكلام «هوتينجر» ينطبق على فكر الجمود الإسلامى ، لا على الإسلام . (م ع)

كغربيين كما يلى : علينا أن نبحث عن شىء جديد ، وعلينا أن نكتشف شيئًا جديدًا ، ولكن العرب - عندما اكتشفوا أنهم يعيشون فى فترة جمود - بدأوا يعودون إلى الماضى ، وتساءلوا : لماذا صرنا ضعفاء هكذا ؟ ولماذا تم إبعادنا عن طريق النصر والقوة ؟ وكانت الإجابة والاستنتاج : لأننا انحرفنا عن طريق الحياة الصحيح ، وابتعدنا عن الدين القويم ، فيكون العلاج العودة إلى عصر الخلافة فى المدينة ، والعودة إلى الحكم الحقيقى للشريعة ، الذى يربط بين السياسة والدين ، وهذا يعنى العودة إلى الماضى ، لاسترداد القوة المفقودة . وهذا أيضًا يمثل ظاهرة غريبة .

هوتينجر : بالتأكيد . ولكنى أعتقد أنه لا ينبغى أن نبالغ فى تقدير هذه الظاهرة . ولنأخذ مثلاً عصر النهضة الأوروبية : فالنهضة بدأت فى إيطاليا أيضًا بالرجوع إلى العصور القديمة . مع الفارق أننا وجدنا فى هذه العصور القديمة أشياء كثيرة ، يمكن استخدامها لحياة جديدة ، آراء واتجاهات تم تطويرها بعد ذلك . فنهضتنا الأوروبية أيضًا بدأت بالرجوع إلى الماضى . وقد سلكت النهضة العربية الحديثة طريقًا مشابهًا ، حيث حاولت العودة إلى العصر الذهبى للحضارة الإسلامية ، وحققت فى ذلك بعض النجاح . وبالاستناد إلى ذلك العصر أمكن تطوير لغة عربية حديثة ، كان بإمكانها عكس الثقافة الأوروبية المعاصرة ، وبالتالى اقتباسها ، فى ذلك الوقت فى القرن التاسع عشر ، ترجم هوميروس إلى العربية لأول مرة . ثم ظهرت بعد ذلك مشكلة العلاقة الوثيقة بين الإسلام والعروبة ، وحول هذا الموضوع مازالت تدور المناقشات الداخلية . والإسلاميون - الذين يريدون العودة إلى العصر المثالى للرسول ﷺ - ليسوا الوحيدين على الإطلاق الذين يعتقدون أن

بإمكانهم أن يقولوا إلى أين ينبغى أن يسير طريق المستقبل ، ولكنهم اليوم أصحاب الصوت الأعلى . وهم يقولون فعلاً : إن علينا الرجوع إلى الدولة الدينية التى أسسها الرسول ﷺ ، ولكن الدولة الدينية هذه لم توجد فى العصور الإسلامية المتأخرة بعد ذلك على الإطلاق . فالعباسيون والأمويون - الذين حكموا الدولة الإسلامية فى عصرها الذهبى - لم يؤسسوا دولة دينية مطلقًا : وفى الواقع التاريخى ربما لم تقم هذه الدولة الدينية إلا فى عصر الرسول ﷺ . وقد كانت دولة صغيرة فى ذلك الوقت ، أقلية صغيرة فى مكة ، ثم حكمت مدينة لأول مرة فى يثرب ، مدينة رسول الله ﷺ ، التى شكلت دولة تحت قيادة الرسول ، وهذه الدولة فقط هى المثل الأعلى الحقيقى الذى يسعى الإسلاميون المتشددون لتحقيقه . إنهم يريدون العودة إلى عصر الرسول ﷺ . وهم يتحدثون عن العباسيين والأمويين قليلاً نسبيًا ، يقولون فقط : تلك الممالك الإسلامية العظمى كانت بالطبع أكثر عظمة وتفوقًا من حضارتكم فى ذلك الوقت (من القرن الثامن حتى القرن الثالث عشر) ، وهذا صحيح أيضًا ، ولكنهم لا يقولون إن هذه الممالك هى مثلنا الأعلى ، إذ أنه كان هناك فى ذلك الوقت فصل واضح جدًا بين شئون الدولة وشئون الدين . هذا على الرغم من ادعاء الإسلاميين بأن الدين والدولة ، السياسة والإسلام ، لا يمكن الفصل بينهما ، بل إن الأمير - أو الحاكم - كان يعقد مجالس للقضاء لم تكن تحكم بالشريعة الإسلامية ، ولكن بحسب فتوى الحاكم ورغبته ، اللتين كثيرًا ما كانتا تتفقان مع متطلبات حكمه . ولم يطبق من الشريعة بصفة دائمة إلا أحكام معينة ، مثل أحكام الأسرة وقانون الميراث . وفى القانون الجنائى لم يكن الحكم

القرآنى المعروف بقطع اليد ينفذ بصورة منتظمة ، فهذه الأحكام لم تكن تطبق ، حتى فى عصر ازدهار الحضارة الإسلامية . وبصفة عامة كان هناك انفصال بين الدين والدولة فى مرحلة مبكرة ، فى العصر الذهبى للإسلام . ويجرى اليوم إبراز هذه الحقيقة من قبل هؤلاء الذين بدأوا يعارضون الإسلاميين . ويوجد الآن كتب أولى عن هذا الموضوع بقلم مؤلفين شرقيين . من ذلك كتاب هام عنوانه : (The Struggle within Islam) بقلم كاتب هندى مسلم ، اسمه : (Rafiq Zaharia) الذى يعيش فى بومباى . ويبين هذا الكتاب بوضوح أن الصراع بين المثل الأعلى للدولة الدينية والسياسة الواقعية لشئون الحكم ، كان أحد أهم الموضوعات المثارة فى التاريخ الإسلامى ، ويعرض الكتاب براهين مذهلة توضح كيف أن الانقسام بين هذين الموقفين كان يحدث مرارًا وتكرارًا . هذا على الرغم من أن الإسلاميين يقولون عقائديًا إن السياسة والدين فى الإسلام شىء واحد[١] .

جيسلينج: نشأت السلفية الإسلامية كموقف دفاعى تجاه الغرب . فقد بدأ الغرب فى السيطرة على الشرق الأوسط سياسيًا واقتصاديًا وفكريًا بصورة مكثفة جدًا . وقد سعت السلفية الإسلامية فى ذلك الوقت إلى مكافحة هذا التدخل الغربى . وكثيرًا ما يبدو هذا الموقف الدفاعى واضحًا فى الحياة اليومية .

---

(١) فى العلاقة الإسلامية بين الدين والدولة ، اعتمد الإسلام «التمييز» بين الدين والدولة ، وليس «الوحدة» أو «الفصل» ، أما فى التطبيق - تاريخيًا - فلم تكن هناك مشروعية وحاكمية فى الدولة والمجتمع لغير الشريعة الإسلامية ، لكن هذا لا يعنى التطبيق «للمثال» الإسلامى ، فدائمًا يكون هناك فارق - يزيد أو ينقص - بين «الواقع» وبين «المثال» . (م ع)

فكيف حقق المتطرفون مثل هذا النجاح الكبير فى الجزائر ؟ وكيف أحرز المتطرفون فى مصر - وخاصة فى الجامعات - مثل هذا النجاح ؟ إن هذا بالطبع له علاقة مباشرة بالتغيرات الاجتماعية التى حدثت هناك . فتفكك الحياة الأسرية فى مجتمع قروى محافظ ، والتمدن الذى أدى إلى خروج المرأة أيضًا للعمل ، وتعذر استمرار تطبيق الفصل الصارم بين الجنسين ، كما كان مخططًا له حسب التقاليد . لقد أدى كل ذلك إلى زعزعة الثقة ، وفقدان الطمأنينة . وعلى هذا المستوى تمكن الإسلاميون والمتطرفون من تحقيق بعض النجاح ، أو لنأخذ الجزائر كمثال آخر . ففى الجزائر حيث غالبية أفراد الشعب أصغر من ١٥ سنة ، وحيث يحدث تفكك سريع للمجتمع التقليدى ، يحدث الآن هناك مرة أخرى مثل موجة ثانية من العنف بعد الحرب بين جبهة التحرير الوطنية والفرنسيين . وجزء كبير من نجاح الإسلاميين مبنى على هذا الأساس .

هوتينجر : ولتسمح لى أن أصيغ هذا بصورة أكثر وضوحًا : الحركة السلفية هى نتيجة للإحساس بالغربة والابتعاد عن الجذور . فالمسلمون يقولون : « **إن ثقافتنا قد تم تغطيتها بأشياء كثيرة أجنبية غريبة ، ولم تكن هذه الأشياء الأجنبية دائمًا جميلة وصحيحة ، بل إنها كثيرًا ما فشلت فى تحقيق أى نجاح ، فمثلاً المساعى الاقتصادية الحديثة ثبت فشلها وعدم جدواها . ويعرض التليفزيون يوميًا صورًا عن الحالة التى كان من الممكن أن تكون عليها (حياتنا الاقتصادية) ، على أن هذه الصور غير واقعية على الإطلاق ، إنها تعطى انطباعًا خادعًا بارتفاع مستوى المعيشة فيما يسمى بالعالم المتقدم ، ثم يقاس على هذه الصور**

غير الواقعية - وليس على الحقيقة الأوروبية ، أو الأمريكية البعيدة - فشل النهضة العربية الحديثة ، وتغريبها . ويظهر هنا رد فعل عند بعض الجماعات . إنهم يكتشفون : لا يمكن أن يكون هذا هو الطريق الصحيح ، يجب أن نجد طريقًا آخر ، طريقًا مناسبًا لنا . وعندئذ تكون العودة إلى الإسلام أقرب الحلول . فالقرآن يقول : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ (١١٠) ﴾ ، ولذلك يستنتج المتشددون : إذا اتبعنا قوانين الشريعة الإسلامية بدقة وأمانة ، سنعود مرة أخرى كأحسن أمة أخرجت للناس ، فمعجزة إلهية ستحدث حينئذ » . بهذا المعنى يعتبر التطرف الإسلامى نتيجة للتغطية الغربية على الحضارة الإسلامية .

جيسلينج: ولا ينبغى أن ننسى أن المصطلحات التى نعتبرها إيجابية جدًّا ، مثل الديمقراطية ، لا ينظر إليها بالضرورة فى عالم الشرق الأوسط الإسلامى نظرة إيجابية على الإطلاق . ففى الديمقراطية ، نقوم نحن البشر بسن القوانين وإصدارها ، ولكن فى الإسلام لا يمكن لإنسان فى الواقع أن يسن أى قانون . فالقانون أصدره الله (= الشريعة) ، وتم إبلاغنا - نحن البشر - به من خلال القرآن . فهذا الذى يحدث فى النظام الديمقراطى هو فى الواقع نوع من التجديف والكفر[1] .

هوتينجر: قد لا أتفق معك فى هذه النقطة ، فنحن نستطيع أن نفسر كل ذلك بطريقة أخرى ، ولكن لا شك أن هذه هى وجهة نظر المتطرفين المسلمين ، وإن لم تكن وجهة نظر الإسلام ، إذ أنه

(١) هذا صحيح بالنسبة للفلسفة العلمانية للديمقراطية ، التى تعزل الشريعة عن الحياة والمجتمع ، أما آليات الديمقراطية ونظمها ومؤسساتها فلا خصام بينها وبين الإسلام .(م ع)

كـان هناك مـا يسـمى بالـ **Kanun** فى عـصـر ازدهار الدولة العثمانية . وهذا لا يعنى قانونًا ، ولكن تشريعات . وقد وضع هذه التشريعات سليمان القانونى (١٥٢٠ - ١٥٦٦ م) أعظم الحكام العثمانيين ، والذى سماه الأتراك «القانونى» (ونقول نحن عنه فى أوروبا : سليمان العظيم) . وقد أوفت هذه التشريعات - التى لم تكن سوى ما نسميه في الغرب قوانين - بالغرض لقرون طويلة . ولا يمكننا أن ندعى أن هذه التشريعات ليست إسلاميـة ، على الرغم من أن المتطرفين المسلمين يدعـون ذلك اليوم . وليس علينا هنا إلا توضيح الأمـور . فهناك القـانون الإلهى ، ويوجد مثل هذا القانون أيضًا فى اليهودية : التلمود . ويمكن أن يكون هناك بجانب ذلك قـوانين حكومـيـة ، قـد لا يكون لهـا نفس المكانة الدينيـة للشـريعـة ، ولكنهـا من الممكن أن تكون صـالحـة للقـرون القليلة القادمة . فمثل هذه الحلول قد تم الاستعانة بها ، ولكننا نواجه هنا مرة أخرى مشكلة التغريب . فقوانين الدول الحديثة تقوم اليوم فى الغـالب على القـانون الفـرنسى (**Code Napoleon**) . وهذه القوانين لم يسنها سليمان القانونى ، كحاكم وطنى مسلم ، ولكن تم استيرادها من بعيد ، من مكان بعيد جداً ، جسدياً ونفسياً . إنها مستوردة فى هذه الحالة من باريس ، ولمجرد هذا صار مفعولها غريبًا . ولكن بالإضـافـة إلى ذلك تأتى مشكلة أن الدولة كلهـا - التى تغربت - ينبغى فجأة أن تعمل بقوانين أخرى مختلفة جداً . فمثل هذه الدولة لم يعد لديها أى أبنية أو أنظمـة إسلاميـة ، بل إنها صارت تقليـدًا سيئًـا للدول الغـربية ، ثم يتبع ذلك الاحـتـجاج الكبير . وهناك الآن رغبة فى العـودة الكاملة إلى الدولة الدينيـة المثالية ، التى لم توجد من قبل على الإطلاق فى جميع الأحوال

منذ عصر محمد ﷺ . ويبدو لى من الأهمية بمكان أننا لا ينبغى أن نأخذ دعاوى المتطرفين المسلمين بتهاون واستهتار . يجب أن نعرف هذه الدعاوى ، ولكن ينبغى ألا نعتقد أن المجتمع الإسلامى قد سار على هذه الدعاوى من قبل . إن دعوة «العودة إلى دولة الشريعة» تطلقها جماعة صغيرة من المسلمين لا تستطيع الانسجام مع عالم اليوم المتغرب إلى الحد الذى يجعلها تريد اتخاذ إجراءات عنيفة ضده ، دون أن تعرف ما يمكن أن تسفر عنه مثل هذه الإجراءات العنيفة من نتائج فعلية .

جيسلينج : ولكن لنعد مرة أخرى إلى العصر الذى بدأ فيه حدوث تقارب بين الحضارتين - عندما اقتبس العالم العربى جزءاً كبيرًا من العلوم كان له أثر بعيد على ثقافتنا وحفظها وطورها .

هوتينجر : ثمة فترة ازدهار عظيمة للحضارة العربية ، تمتد حتى سنة ١٠٠٠ تقريبًا ، أو سنة ١١٠٠ على الأكثر ، وقد استمرت أطول من ذلك بقليل فى أسبانيا والمغرب ، وانتهت فى الشرق قبل ذلك بقليل . وكان من الدوافع التى أدت إلى إبداع ذلك العصر ، اقتباس العرب للتراث اليونانى فى ذلك الوقت . ولم يركز العرب على التراث الأدبى لليونان ، بل كان تركيزهم إلى حد بعيد على التراث العلمى والفلسفى . وغالبًا ما كان التعريب يتم من خلال شعوب أخرى كالسريانيين النساطرة . وكثيرًا ما كانت النصوص اليونانية القديمة تترجم إلى لغات هذه الشعوب ، ثم تنقل منها إلى العربية . وكانت الثقافة اليونانية فى ذلك الوقت لا تزال حية فى بيزنطة . وبيزنطة كقوة ثالثة فى البحر المتوسط ، هى أيضًا شىء لابد من الإشارة إليه . وقد كان اقتباس العرب لتراث الحضارات

القديمة مثمرًا جداً للعرب . وفى عصر ازدهار الحضارة الإسلامية كان هناك بيت الحكمة التابع لمركز الخلافة العباسية فى بغداد ، حيث كانت الحكمة اليونانية تترجم بانتظام إلى العربية : الفلسفة ، والرياضيات ، والعلوم ، والطب . وهكذا تم نقل تراث اليونان ونظرتهم إلى العالم إلى اللغة العربية . وكان هناك أشياء محددة لم يستطع العرب اقتباسها ، مثل كل ما له علاقة بآلهة اليونان ، فتعدد الآلهة عند اليونان كان من الأشياء التى لم يستطع ، ولم يرد ، العرب المسلمون أن يقتبسوها . وهوميروس لم يترجم إلى العربية ، إلا فى القرن التاسع عشر ، كما ذكرنا من قبل . وبهذه الترجمات نشأت ثروة عظيمة مكتوبة باللغة العربية لكبار فلاسفة اليونان وعلمائهم أثرت على أوروبا فيما بعد ، بصورة مباشرة . وربما كان الطب أوضح مثال لذلك ، فجالينوس وصل إلى اللاتينية عن طريق العربية ، وظل مرجعًا رئيسياً للطب حتى سنة ١٧٠٠ فى بادو **Padua** . وتوجد نصوص لأرسطو لا نعرفها حتى اليوم ، إلا فى ترجمتها العربية ، وليس فى أصلها اليونانى ، وفى القرون الوسطى ترجمت جميع أعمال أرسطو الرئيسية من العربية إلى اللاتينية ، ولم تنقل النصوص اليونانية مباشرة إلى إيطاليا ، إلا بعد ذلك بوقت طويل ، بعد فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م ، حيث استقبلت هناك مباشرة بلا وسيط ، وقد لعب كبار الكتاب العرب الذين شرحوا أعمال كبار فلاسفة اليونان دورًا مميزًا جداً . فمن أهم ما قام به كبار الفلاسفة العرب مثل ابن سينا وابن رشد شرح أعمال أرسطو ، على أن العرب قد شرحوا أيضًا فى ذلك الوقت نصوصًا اعتبروها من أعمال أرسطو ، مما لا تصح نسبتها اليوم إلى أرسطو ، حيث ثبت أنها من الإنتاج المتأخر للأفلاطونية

الجديدة . وكان شرح الفلاسفة العرب يهدف إلى إثبات أن الدين والتحليل العقلى لهذا العالم متفقان في نهاية الأمر ، وقد أثرت بعد ذلك هذه الشروح وخاصة شرح ابن رشد ، على علم الكلام فى أوروبا .

جيسلينج: لقد ذكرت أن باب الاجتهاد قد أغلق ، أى أن التأويل ومواصلة البحث فى الإسلام لم يعودا ممكنين ، نحن لم نتحدث بعد عن سبب حدوث هذا فى ذلك الوقت ، ما هو تحليلك ؟

هوتينجر : هذا بالطبع سؤال يتعلق بفلسفة التاريخ تصعب الإجابة عليه بوضوح . فهناك فترات جمود وإعياء فى تاريخ الحضارات ، فقد انتهى العصر الذهبى للعباسيين ، وتبعته مرحلة من المعارك السياسية ، والمناقشات الدينية الداخلية بين العرب . على أن الأمور الدينية دائمًا ما يكون لها جوانبها الاجتماعية - السياسية أيضًا . فالشيعة كانت تمثل المعارضة الدينية والاجتماعية فى الوقت نفسه . ذلك أن نسل الرسول ﷺ الذين لم يتولوا الحكم ، ولكنهم أرادوا الوصول إلى السلطة أسسوا دولتهم فى القاهرة ، وقسموا الدولة الإسلامية ، وانتهى الأمر إلى صراعات تشبه الحرب الأهلية داخل دار الإسلام ، وتبع ذلك نظام جديد : فقد فرض العسكر الأتراك أولاً الوصاية على الخلفاء العباسيين ، ثم استولوا فى النهاية على الحكم . وقد قام أحد وزرائهم ، وهو نظام الملك الذى كان فارسيّاً يعمل فى خدمة حاكم تركى بتأسيس المعاهد التعليمية لأول مرة ، حيث كان الإسلام السنى يدرس فيها ، وسميت هذه المعاهد «مدارس» ، ولكنها كانت جامعات ذات اتجاه دينى ، وكانت مدعمة من الدولة ، وتدرس

الإسلام كمذهب واحد . وفى ذلك الوقت أقفل بذلك باب الاجتهاد بصورة نهائية ، وكانت الدولة تروج للمذهب السنى ، وكان المذهب السنى مرتبطًا بالدولة من حيث أن الدولة كانت تسعى لتحاشى أى اضطرابات . وعينت الدولة فقهاء سنيين ، ورجال دين من أهل السنة فى المناصب القيادية . ومن ناحية تاريخ الحياة الفكرية ، فقد بدأت – على خط موازٍ لهذا التطور – عملية تجميع العلم الموجود حتى ذلك الوقت ، وبدأ العرب يكتبون دوائر معارف ، بدلاً من السعى إلى تطوير العلم الذى توصلوا إليه حتى ذلك الوقت ، وكان ذلك هو عصر الأعمال الكاملة المكونة من مجلدات كثيرة . وبعد ذلك حدثت خطوة أخرى ، حيث تم تلخيص هذه الأعمال الكاملة فى صورة مختصرات تخدم طلاب العلم . وتحولت الموسوعات العلمية إلى كتب مدرسية للطلبة ، وبذلك تم أولاً تدوين الحياة الفكرية بكاملها حتى ذلك الوقت ، ثم صدرت مختصرات لهذه الأعمال ، وبالطبع لعبت فى ذلك الوقت حوادث اجتماعية وسياسية كثيرة دورًا هامًّا . فقد جاء المغول من وسط آسيا ، وقضوا على الحضارة المتطورة حتى ذلك الوقت ، فدمروا إيران ، ونهبوا بغداد ، وأنهوا الخلافة سنة ١٢٥٨ م . وتبع ذلك حقبة صعبة طويلة ، تطورت فيها الحضارة الإسلامية مرة أخرى ، حتى وصلت إلى مرحلة ازدهار جديدة من نوع خاص تحت حكم الأتراك ، وتحت حكم الصفويين الفرس ، ومغول الهند . وقد تأسست هذه الممالك الثلاث حوالى سنة ١٥٠٠ م . وانتهت مرحلة من مراحل التشتيت والانقسام ، طغت فيها النزاعات الداخلية ، وبدأت مرحلة جديدة ، كانت السيادة فيها لذلك الشعب الجديد : الأتراك الذين ظهروا كفاتحين ، وشجعوا التلخيص

والاختصار اللذين انتشرا فى العالم العربى إلى حد بعيد ، فى الوقت الذى ازدهرت فيه الثقافة الإسلامية فى ممالك جديدة على أطراف العالم العربى . وتحت حكم الصفويين والعثمانيين والمغول حدث توسع كبير فى الفنون التشكيلية مثل الرسم والعمارة ، وفى مقابل ذلك حدث نوع من الجمود فى مجال العقيدة ، والفلسفة ، والحياة الفكرية . وكان التصوف يكتسب أهمية متزايدة ، واتجهت العقول الخلاقة منذ الحكم التركى نحو التصوف بصورة رئيسية ، ويظهر ذلك بوضوح كبير فى الأدب ، فالشعر والنثر كانا يزدادان تصوفًا . فالقصائد الفارسية الطويلة بدأت مع الفردوسى كقصص مغامرات صميمة وأساطير ، كقصائد تاريخية ، أو ربما نطلق عليها قصص فرسان . ولكنها سريعًا ما تحولت إلى قصص صوفية بمعنى مزدوج . فمن ناحية كانت القصيدة تحكى قصة ما ، ولكن بصورة غير مباشرة كانت تعالج صعود النفس إلى الأفلاك العليا ، وكذلك اتصالها بالله . وهكذا صارت القصيدة بصورة متزايدة تصويرًا ، أو رمزًا ، لصعود النفس إلى الأفلاك العليا . وبصفة عامة كانت طبقة المبدعين من المثقفين المسلمين تزداد تصوفًا . وباتجاه هذه الطبقة نحو التفكير فى الله ، اعتزلت الدنيا ، ولم تعد تهتم بأمورها المادية ، وصار البحث عن الطريق المباشر إلى الله هو محور الحياة الفكرية . وقد أسس المتصوفون مدارس وزوايا عاشوا فيها سويًا ، وأعرضوا عن الدنيا وزهدوا فيها ، وتركوها للعسكر والحكام . واستمر هذا الوضع حتى عصر التغطية الأوروبية .

٤ - الفكر المتشدد فى الإسلام

بقلم العالم السويسرى : إرنست تسبيندن

تقديم المترجم

كاتب هذا المقال هو العالم السويسرى الصديق إرنست تسبيندن (Ernst Zbinden) أحد كبار علماء الدين فى سويسرا ، ومن أكثرهم فهمًا للتاريخ الإسلامى ، وينتمى تسبيندن إلى طبقة المفكرين السويسريين الذين ينادون بقيم التسامح ، والحوار بين الأديان ، ونبذ العنف ، وعدم إساءة استخدام الدين لتحقيق أهداف سياسية . وقد استخدم الأستاذ تسبيندن فى مقاله هذا اللفظ الألمانى (Funda mentalismus) بمعان مختلفة ، فهذا اللفظ الذى يترجمه معظم الكتاب ترجمة عشوائية بكلمة «الأصولية» هو لفظ لا علاقة له بالإسلام ، أو كما تقول المستشرقة الألمانية الشهيرة «أنا مارى شيمل» (Annemarie Schimmel) فى مقدمتها لكتاب الدبلوماسى الألمانى المسلم مراد هوفمان (الإسلام كبديل) : «**هذا التعبير لا يمت إلى الإسلام بصلة، فهذه الكلمة تطلق فى المسيحية على اتجاه معين فى أمريكا، ويقصد الإعلام الغربى بهذه الكلمة: المتطرفين المسلمين**» . غير أن الأستاذ تسبيندن عند استخدامه للفظ (Fundamenta lismus) لا يعنى المتطرفين فحسب ، بل إنه يقصد به أحيانًا الإسلاميين ككل ، وأحيانًا أخرى يعنى المتعصبين ، أو المتشددين ، ومرة رابعة يكون المقصود هو الحركة السلفية .

والواقع أن شيوع لفظ الإسلاميين (die Islamisten) اليوم بين أساتذة الدراسات الإسلامية فى الغرب يحتاج أيضًا إلى مراجعة وتدقيق . إذ أن هذا اللفظ كما ورد فى المراجع العربية القديمة – كاستخدام الأشعرى له فى كتابه «مقالات الإسلاميين» – لا يعنى المتطرفين ، ولكنه يعني مفكرى الإسلام . فكل من عمل فى حقل الدراسات الإسلامية ، وعبر عن رأيه فى الموضوعات الدينية المثارة ، فهو إسلامى ، وليس بالضرورة متطرفًا . وبناء على ذلك فلفظ إسلامى يشمل المتطرف والمعتدل ، المسالم والعنيف ، المتسامح والمتشدد ، جميعًا . ولهذا فاستخدام الغربيين له لوصف المتطرفين المسلمين هو استخدام غير دقيق ، فيه الكثير من التعميم والتسطيح ، وقد أحسن جيلز كيبل (Gilles Kepel) عندما تحاشى استخدام هذا اللفظ ، فى كتابه عن الحركة الإسلامية فى مصر ، الذى أسماه (النبى والفرعون) حيث يقول فيه :

« ... إن لفظ fundamentalism بالإنجليزية ، ولفظ intégrisme musulman بالفرنسية ، ينقلان إلى العالم الإسلامى أدوات فكرية صيغت لتفسير لحظات تاريخية معينة فى تاريخ الكاثوليكية والبروتستانتية على التوالى ، وليس هناك ما يبرر هذا النقل ».

ويشير العالم تسبيندن فى مقاله هذا إلى ملاحظة هامة ، وهى أن الصحوة الإسلامية لم تبعث الشباب المسلم على التفقه فى الإسلام ، والتعمق فى التاريخ الإسلامى والفقه والشريعة ، ولكنها **«أدت إلى تقوية أحاسيس ساذجة ومتطرفة»** . ولعل أحد أهم أسباب ذلك هو انحصار الفكر الإسلامى العقلانى . فمعظم الكتب المتداولة فى الأسواق العربية اليوم هى كتب تحارب العقل ،

وتدعو إلى التقليد والجمود ، ولن تتمكن الحركة الإسلامية من تصحيح مسارها ، إلا بالتفتح على الثقافات الأخرى ، ونبذ العنف ، والتسلح بعلوم العصر .

ومن المفيد أيضًا أن نذكر قولاً آخر لتسبيندن ، ونقابله بتعليق للعالم المصرى الكبير محمد منصور (زيورخ) . يقول تسبيندن : «**لم يعرف الإسلام حركة تنوير مثلما حدث فى أوروبا**» . ويرى العالم محمد منصور أن التنوير كان موجودًا فى الإسلام منذ بدايته ، ثم حلت عصور الانحطاط ، فحجبت هذا التنوير ، وهذا يعنى أن التطور الذى حدث فى الإسلام كان معاكسًا لما حدث فى أوروبا . ففى الإسلام جاء التنوير قبل الانحطاط ، وفى أوروبا انبثق التنوير بعد الانحطاط ، ولنرَ الآن ماذا يقول العالم السويسرى إرنست تسبيندن فى مقاله هذا :

١ - أصول الإسلام (Die Fundamente des Islams)

الإسلام هو دين نبوى (prophetische) وتشريعى ، يشمل جميع ميادين الحياة ، وينظمها بشرائعه ، ويعتبر الإسلام - من وجهة النظر الإسلامية - آخر دين سماوى منزل ، وبالتالى فهو الدين الحقيقى النهائى للبشر ، واليهودية والمسيحية ليستا ، إلا ديانتين سبقتا الإسلام . وبخلاف المسيحية فأساس (das Fundament) الإسلام ليس فقط القرآن الكريم ، ولكن أيضًا الشريعة القائمة على سنة الرسول ﷺ ، وكتب الفقه . والقرآن فى كل حرف من حروفه هو كلام الله المنزل ، وتكاد لا توجد محاولات للتأويل التاريخى للقرآن ، والدراسات النقدية غير ممكنة . أما السنة والفقه ، فهما قابلان للتغيير إلى حد ما ، وبالتالى

يمكن تأويلهما من قبَل أفراد لديهم خلفية دينية . هذه الأصول (Fundamente) المقدسة تجعل من الإسلام فى الواقع دينًا ذا أصول (fundamentalistisch) . والسلفية الإسلامية (islamischer Fundamentalismus) ما هى إلا العودة إلى جميع الأصول والأسس الإسلامية . وبخلاف المسيحية الهادفة إلى العودة إلى أصول الدين المسيحى (christlicher Fundamentalismus) تشمل الأصول التى تسعى السلفية الإسلامية للعودة إليها الشريعة أيضًا . ويهدف القانون الإسلامى إلى إرجاع كل البشر فى حياتهم المشتركة تبعًا لأوامر الله ، إلى الوضع الأصلى الصحيح الذى كانوا فيه جميعًا أمة واحدة تحكمها شرائع الله وسلطته .

٢ - تطور الحركة السلفية (fundamentalistische) فى الإسلام

امتلك الإسلام لعالمه نظامًا خاصّاً وشاملاً للقيم ؛ وهو نظام شعر فيه بالراحة والطمأنينة ، حتى بداية العالم الغربى الحديث . ولم يسعَ لتغيير هذه القيم الإسلامية إلى حد ما إلا القليل من الحركات الإصلاحية ، ولكنها ظلت حركات سلفية (fundamentalistisch) جداً ، مثل الحركة الوهابية فى القرن الثامن عشر فى شبه الجزيرة العربية على سبيل المثال . ولم يعرف الإسلام حركة تنوير مثلما حدث فى أوروبا . إلا أن القوى الأوروبية بدأت فى القرن الماضى تفرض وصايتها على المناطق الإسلامية ، وقد أدى ذلك إلى صدمة كبيرة للمسلمين ، وكان لابد من اقتباس الكثير من الحضارة الغربية فى مجال

التكنولوچيا ، وتنظيم شئون الدولة ، والقانون ، وهى خطوة لم تكن فى حسبان الفكر الإسلامى ، ولكنها كانت خطوة عملية جداً ، لدرجة أن الفكر الغربى اكتسب مكانة خاصة لدى الأوساط الراقية فى العالم الإسلامى ، وكان هناك طبقات أخرى حاولت أن تتحاشى كل جديد بقدر الإمكان . فالتنظيم ، والتخطيط ، وأوقات العمل الثابتة ، والأجور المحددة ، والإدارة ، والديمقراطية البرلمانية ، هى فى الواقع أمور ليست إسلامية ، فهى أمور يقررها الإنسان ، وليس الله من خلال شريعته . وقد أبعدت القواعد الجديدة للمجتمع الحديث رجال الأعمال ، والعلماء ، والعلماء المسلمين ، عن الإسلام إلى حد بعيد ، ومن الواضح أن العالم الحديث عندما يتعرض لأزمات يقوى فى الحال الرأى القائل بأن ذلك هو نتيجة للاستهانة بشريعة الله ، ويشعر كثير من المسلمين المتدينين فى الدول الإسلامية المتحضرة اليوم بالاغتراب أحيانًا ، وهم ينظرون إلى عصر فجر الإسلام بمشاعر من الدفء والشوق ، ويتوقون إلى وحدة جميع الشعوب الإسلامية فى المستقبل . وقد ظهر فى القرن التاسع عشر من يُطلق عليهم لفظ «المجددين» الذين أرادوا تطهير الإسلام مما لحقه من شوائب وخرافات ، ولكنهم سعوا أيضًا إلى نصرة الإسلام ، ومنحه مزيدًا من القوة والاعتداد بالنفس . وكانوا يرون أن الإسلام ، باعتباره دين العقل ، فهو يصلح أكثر من المسيحية ، لأن يكون دين الإنسان العصرى .

ثم تأسست فى مصر جماعة الإخوان المسلمين سنة ١٩٢٨ ، ولم يكن الإخوان فى البداية ضد منجزات المدنية الحديثة على الإطلاق ، بل اقتصر هدفهم على تربية المسلمين المفترض أنهم نشأوا على الأخلاق الإسلامية ، وتشكلوا بها ، ولكن جماعة الإخوان المسلمين تطرفت (**wurde fundamentalistischer**)

فيما بعد ، فقد أعلنت أن الإسلام نظام شامل ، قائم على القرآن والسنة ، ولا ينبغي أن يراعى أو يقتبس أى عناصر أخرى ؛ وأنه صالح للتطبيق والاستعمال فى كل زمان ومكان ، أى فى عصرنا هذا أيضًا[1] . وبسرعة أصبحت جماعة الإخوان المسلمين حزبًا شعبيًا ، بيد أن السلطات فرضت عليها الحظر أحيانًا ، بسبب ما مارسته من أحداث عنف ، وتكونت منظمات للإخوان المسلمين أيضًا فى الأردن ، والعراق ، ولبنان ، وسوريا ، وفى فترات المواجهة بين الشرق والغرب ، استطاع الإخوان أن يكتسبوا شهرة كبيرة ، كأصحاب إيديولوچية ثالثة للعالم الإسلامى ، دون أن يكونوا ملزمين بتقديم برنامج محدد . وفى باكستان تأسست جماعة أخرى ذات صلة وقرابة بالإخوان المسلمين سنة ١٩٤١ ، تسمى «الجماعة الإسلامية» . ودعت هذه الجماعة إلى إنشاء دولة إسلامية على الطريقة الإسلامية القديمة ، ويحكمها أمير مسلم . كما أنها نادت بإعادة تطبيق الشريعة الإسلامية من جديد على مراحل . وقد امتدت هذه الحركة أيضًا إلي الدول المجاورة ، وأدت إلى قيام أحزاب فى المنطقة العربية برمتها ، تدعو إلى الصحوة الإسلامية ، والإحياء الدينى . وعاشت بعض هذه الأحزاب تحت الأرض ، وكانت تعمل ضد السلطة ، وضد الغرب ، وضد الكفرة . ودفع تأييد الغرب لإسرائيل الكثيرين إلى أحضان هذه الأحزاب .

وقد أعطت الثورة الإيرانية إشارة الظهور لكل هذه الحركات المتشددة (**fundamentalistisch**) . وأظهرت الثورة الإيرانية أنه

---

(١) شمول الإسلام ليس تطرفًا ، وإنما هو حقيقته . . وشمول الإسلام : رؤية منهجية ، لا تمنع اقتباسه لما لا يتعارض مع منهاجه - فالحكمة ضالة المؤمن - وجمع التجديد الإسلامى بين الثوابت والمنهج ، مع التطور فى المتغيرات - وخاصة المعاملات الدنيوية - هو سر صلاح الإسلام لكل زمان ومكان . (م ع)

من الممكن إعادة تقوية العالم الإسلامى فى عصرنا هذا ، على أسس إسلامية أيضًا . وقد أعد آية الله الخمينى فى منفاه مشروع جمهورية إسلامية ، تم تطبيقه الآن ، وتجلت عملية أسلمة كل شىء بصورة أساسية فى المجالات الإدارية ، والقانونية ، والاجتماعية ، وبصورة خاصة بالنسبة لنا فى الغرب ، بدا ذلك واضحًا فى أحكام الملابس ، وتقييد حرية المرأة . كذلك فقد شجعت الثورة الإيرانية الحركات السلفية والمتشددة (fundamentalistisch) فى الدول الإسلامية الأخرى ، إلى حد بعيد . واتضح الآن أن الإسلام ليس مجرد دين نظرى فحسب ، ولكنه أكثر من ذلك : إنه حضارة مؤثرة فى المجتمع ، وإيديولوچيا مخالفة للإيديولوچيات الغربية ، وحضارة مضادة مبنية على الدين . وازدهرت حركة الإخوان المسلمين ، والجماعة الإسلامية ، والحركات المتشددة الأخرى . وانتاب المسلمين جميعًا شعور جديد من الاعتداد بالنفس ، حتى فى تلك الدول التى لا يمثلون فيها إلا أقليات محدودة . وقد شاع الآن استخدام لفظ «الإسلاميين» (die Islamisten) للإشارة إلى كل هذه الجماعات والتيارات ، وكذلك لفظ «الحركة الإسلامية» (Islamismus) كمصطلح شامل . والسلفية الإسلامية (islamischer Fundamentalismus) هى «الحركة الإسلامية» (Islamismus) .

٣ - تقييم

لا تعنى السلفية الإسلامية (islamischer Fundamentalismus) مجرد التمسك بحرفية القرآن ، ورفض

أى نقد موجه للقرآن ، فهذا موقف إسلامى عام . أما هدف السلفية الإسلامية الرئيسى فهو تطبيق الشريعة الإسلامية فى المجتمع ، وشئون الدولة ، والسياسة ، والقضاء ، وأيضًا فى فكر كل فرد من أفراد المجتمع . والسلفية الإسلامية (islamischer Fundamentalismus) هى قبل كل شىء موقف مضاد ، ورد فعل للعلمانية والتغريب . ولا يوجد فى الإسلام فكر سلفى (fundamentalistisch) موحد ومشروح بتفصيل وإسهاب . والسلفية الإسلامية ليست أيضًا مجرد حركة محافظة للإحياء الدينى ، ولكنها تعنى أيضًا بالمستقبل ، وذلك بسعيها لتحقيق مستقبل جديد ، تحكمه شريعة الله ، يتمثل فى الأمة الإسلامية المباركة التى تجمع كل المؤمنين داخل حدودها . ومن المؤسف له أن الصحوة الإسلامية التى تلقى كل التشجيع من السلفية لم تثمر عن تعمق حقيقى فى الإسلام عند جميع الطبقات ، ولكنها أدت إلى تقوية أحاسيس ساذجة ومتطرفة (fanatisch) . وقد سارع بعض السياسيين إلى استغلال ذلك . فالإسلام نفسه لن يستطيع أن يحل كل مشاكل الشعوب الإسلامية بالسرعة التى ينتظرها الإسلاميون ، ذلك أن الفقر ، والبطالة ، والمتاعب الاقتصادية ، والتخلف ، وعدم الاستقرار السياسى ، كل هذه المشاكل لن تحل بالسرعة التى يتخيلها الإسلاميون . وبعض المكاسب التى تم تحقيقها فى عصر الوصاية الغربية المرفوض لم يعد من الممكن إلغاؤها على الإطلاق ، ولا حتى فى إيران التى استمرت فى تجارة النفط ، ليس فقط عن رغبة ، ولكن أيضًا عن حاجة واضطرار . كذلك فهناك بعض المسائل فى الشريعة تحتاج إلى تنقيح ، مثل مسألة الطلاق ، ووضع المرأة ، على سبيل المثال ؛ ولكن أيضًا بعض

أحكام القانون الجنائى . والواقع أن العصور الوسطى قد انتهت أيضًا بالنسبة للإسلام ، وسوف يتحتم على الإسلاميين أيضًا أن يراجعوا أفكارهم فى الوقت المناسب .

وكثيرًا ما يسبب التطرف الإسلامى (**islamischer Fundamentalismus**) لنا - فى الغرب - قلقًا ، ويخشى البعض من أسلمة أوروبا مرة أخرى . ولكن الصحوة الإسلامية (**die Renaaissance des Islams**) ينبغى أن تقودنا قبل كل شىء إلى تنقيح موقفنا من الإسلام ، هذا الموقف الذى ما زالت تحكمه فى أوساط غربية واسعة الأحكام المشوهة والخاطئة ، وعلى المسلمين والمسيحيين أن يتعلموا أن يفهم بعضهم بعضًا بصورة أفضل ، وأن يكونوا جميعًا أكثر تسامحًا . ولابد أن يتحول التطرف (**Fundamentaslismus**) عند الفريقين ، من الموقف المتشدد إلى الحب ، والإخلاص للمبادئ والأصول الذاتية ، ولكن بلا وصاية على الآخر ، المختلف دينيًا وفكريًا .

٥ - كيف نتعامل مع التطرف الدينى؟

بقلم العالم السويسرى الشهير: هانس كينج

تقديم المترجم

كاتب هذا المقال - البروفيسور هانس كينج - هو أشهر شخصية دينية سويسرية فى عصرنا هذا. ولد فى لوزرن بسويسرا سنة ١٩٢٨، ودرس الفلسفة وعلم اللاهوت فى روما، ثم حصل على الدكتوراه فى اللاهوت من باريس سنة ١٩٥٧. ويعمل كينج كأستاذ كرسى فى جامعة تيبينجن فى ألمانيا منذ سنة ١٩٦٠.

والأستاذ كينج هو شخصية عالمية مرموقة فى حقل حوار الأديان، وقد ألقى محاضرات فى جامعات كندا وأمريكا وآسيا وأفريقيا وأستراليا. وبلغت مؤلفات كينج أكثر من ٤٥ كتابًا، من أهمها:

١ - الله والألم (١٩٦٧).   ٢ - الكنيسة (١٩٦٧).

٣ - حرية المسيحى (١٩٧١).

٤ - حوار يهودى - مسيحى (١٩٧٦).

٥ - المسيحية والأديان العالمية (١٩٨٤).

٦ - فرويد ومستقبل الدين (١٩٨٧).   ٧ - اليهودية (١٩٩١).

وقد ترجمت معظم أعماله إلى عشرين لغة مختلفة من لغات العالم، كما ظهر حتى الآن ست دراسات عنه.

ومن أهم آراء كينج التى عبر عنها فى كتاباته، نظرياته الشهيرة الخاصة بعلاقة الدين بالسلم والحرب، فهو يرى أنه:

١ - لا سلام عالميًا بلا سلام بين الأديان.

٢ - ولا سلام بين الأديان بلا حوار بين الأديان.

٣ - ولا حوار بين الأديان بلا دراسات جادة، وأبحاث موضوعية.

ومقال هانس كينج هذا ، لا يخص التطرف فى الإسلام فحسب ، بل يعالج - باختصار - ظاهرة التطرف فى الديانات السماوية الثلاث . ولعل أهم ما يشير إليه كينج فى مقاله هذا هو ضرورة السعى لفهم دوافع التطرف ، وأسبابه ، لأننا لن ننجو من نار التطرف إلا عندما نعالج الأسباب التى أدت إلى ظهور التطرف .

ونود أخيرًا أن نشير إلى أن الموضوع الذى نتحدث عنه هو «التطرف» ، أما لفظ «الأصولية» الذى يستخدمه بعض الكتاب فهو ترجمة ركيكة وخاطئة للفظ **(fundamentalismus)** بالألمانية ، أو ما يقابله فى اللغات الأوروبية الأخرى . وهذه الترجمة الركيكة ترينا مدى ما وصلنا إليه من تبعية للغرب المتقدم ، واضمحلال فكرى رهيب . ولنرَ الآن ما يقوله البروفيسور هانس كينج عن التطرف .

١ - الأديان بين الاتفاق والاختلاف

من المؤسف له أن أصحاب الأديان السماوية الثلاثة ، لم يحتفظوا فى ذاكرتهم حتى يومنا هذا بما يربطهم ويؤلف بين قلوبهم ، بقدر تذكرهم لما يفرقهم ويباعد بينهم .

فالمسيحيون واليهود لهم أصول مشتركة ، ولكن المسيحيين يتذكرون اليوم فى المقام الأول رفض «اليهود» لنبيهم عيسى . وبالطبع يتذكر اليهود تعقب «المسيحيين» لهم ، وما تعرضوا له من اضطهاد على أيديهم لقرون طويلة فى جميع أنحاء أوروبا ، وهم لا ينسون على الإطلاق إبادة ستة ملايين يهودى .

واليهود والمسلمون عاشوا فى سلام جنبًا إلى جنب لقرون طويلة

(فى مصر ، وأسبانيا ، واستانبول) ، ولكنهم يتذكرون اليوم قبل كل شىء النزاع حول فلسطين (وهو نزاع حديث بدأ فى هذا القرن) .

والمسيحيون والمسلمون ، على الرغم من أنهم يعتبرون أنفسهم - مثل اليهود - أبناء سيدنا إبراهيم ، إلا أنهم لا يتذكرون - حتى يومنا هذا - إلا مواجهاتهم الخمس :

١ - المواجهة الأولى : فى القرن السابع الميلادى ، حين خسرت الإمبراطورية الرومانية الشرقية المسيحية ولاياتها المسيحية : فلسطين ، ومصر ، وسوريا ، من خلال الفتح الإسلامى .

٢ - المواجهة الثانية : فى القرن الثامن الميلادى ، حين فتح المسلمون شمال أفريقيا بأكمله ، وأسبانيا .

٣ - المواجهة الثالثة : فى القرنين الثانى عشر ، والثالث عشر : أعاد المسيحيون من خلال هجومهم المضاد - المتمثل فى الحملات الصليبية - سيطرتهم على فلسطين ، والقدس ، لفترة محدودة .

٤ - المواجهة الرابعة : في القرنين الخامس عشر ، والسادس عشر ، فتح الأتراك المسلمون القسطنطينية (سنة ١٤٥٣) والبلقان ، مما نتج عنه أسلمة هذه المناطق ، واعتناق شعوبها الإسلام ، وبقاؤهم عليه حتى اليوم .

٥ - المواجهة الخامسة : في القرنين التاسع عشر ، والعشرين ، حيث انتهكت القوى الاستعمارية الأوروبية المسيحية القانون الدولى ، وسيطرت فى نهاية الأمر على الدول الإسلامية فى شمال أفريقيا وشرقها ، والشرق الأوسط ، والشرق الأقصى ، حتى إيران والهند .

٢ - هل سيظل السلام بين الديانات وهماً ؟

وبالنظر إلى هذه المواجهات والحروب ، التى استمرت لعصور طويلة ، يطرح السؤال التالى نفسه : من كان من الممكن أن يكون أعظم رجل دولة فى عصرنا هذا ، أو الحكيم الأعظم الذى باستطاعته أن يقيم السلام بين المسلمين والمسيحيين واليهود ؟ وخاصة السلام بين العرب واليهود ، أو بين الإسرائيليين والفلسطينيين ؟ أم هل ينبغى أن يبقى السلام وهمًا إلى الأبد ؟

إن القتلى يتساقطون فى البلقان ، وفى الشرق الأوسط تطلق النيران بصورة يومية ، هل لا نفعل شيئًا ، ونقف مكتوفى الأيدى ، انتظارًا لحرب سادسة بين العرب وإسرائيل ؟

وعلى الرغم من ذلك ، يتساءل الكثيرون : إذا كان قد أمكن تحقيق السلام بين الكاثوليك والبروتستانت بعد كل ما دار بينهم من حروب باردة ، ومواجهات ساخنة ، فلماذا لا يمكن تحقيق ذلك تدريجيًا بين اليهود والمسيحيين والمسلمين ؟

وإذا كان السلام قد أمكن تحقيقه بين الفرنسيين والألمان ، الأعداء الألداء ، فلماذا تظل إمكانية تحقيق السلام بين العرب والإسرائيليين مستبعدة ؟[١]

(١) السلام الذى تحقق بين الكاثوليك والبروتستانت ، وكذلك بين الألمان والفرنسيين ، تحقق عندما تخلى كل طرف عن محاولات «نفى الآخر» ، بينما المشروع الصهيونى قائم على نفى الوطن الفلسطينى المستقل ، وحرمان أهل فلسطين من حقهم الفطرى والطبيعى فى تقرير المصير . فاستحالة السلام - هنا - قائمة فى طبيعة المشروع الصهيونى ، وليس فى الإسلام أو اليهودية . (م ع)

٣ - التطرف الإسلامى

ولكنى أسمع أحيانًا الاعتراض القائل : كيف يمكننا التعامل مع المتطرفين المسلمين الذين يمكنهم التعامل مع وسائل الحضارة الحديثة (وليسوا رجعيين ، أو متخلفين عن المدنية الحديثة ، كما يدعى البعض) ، وباستطاعتهم الظهور بمظهر متمدن جداً من عدة وجوه (كاستخدامهم للتكنولوچيا الحديثة ، ووسائل الإعلام ، ووسائل المواصلات ، والمعاملات المالية) ؟

فيما يخص مسألة المسلمين المتطرفين - أو الإسلاميين كما يسميهم المسلمون - فينبغى أن نقول :

١ - ليس الإسلام دينًا متطرفًا كلية ، ففى الإسلام أيضًا كان - وما زال - هناك حركات إصلاحية كثيرة .

٢ - والمسيحية بدورها ليست ديانة متسامحة كلية ، فالتطرف موجود أيضًا فى المسيحية فى أصل البروتستانتية والكاثوليكية (المثال الحديث : بولندا) ، والتطرف موجود أيضًا فى اليهودية (فى داخل إسرائيل ، وخارجها) .

٣ - لا تنحصر جذور التطرف على الناحية الدينية فحسب ، بل تمتد لتشمل أيضًا النواحى الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، فالمتطرفون المسلمون يشيرون إلى أوجه قصور الحضارة الحديثة ، وهى ملاحظات ينبغى أن تؤخذ مأخذ الجد ، حتى إذا رفضنا الحلول التى يقدمها المتطرفون . ولذلك فمن الصحيح :

٤ - أنه لا يمكن التغلب على التطرف - كظاهرة دينية - عن طريق الهجوم المباشر ، ولكن من خلال الفهم الصحيح له ، وتخيل أنفسنا فى مكان هؤلاء المتطرفين . والأهم من ذلك عن طريق

معالجة الأسباب التى أدت إلى ظهور هذا التطرف .

٤ - التطرف على مستوى الديانات العالمية

ماذا يمكننا إذن أن نفعل تجاه التطرف فى جميع الديانات ؟ هناك خمس نقاط هامة نود ذكرها فى هذا المقام :

أولاً : من ناحية ، ينبغى لفت نظر المتطرفين إلى الأصول الخاصة بالحرية ، ومبدأ التعددية ، والانفتاح أمام الآخرين ، وذلك فى تراث كل فريق منهم : فى التوراة والتلمود عند اليهود ، وفى الأناجيل والكتابات المسيحية عند المسيحيين ، وفى القرآن والسنة عند المسلمين .

ثانيًا : من ناحية أخرى ينبغى أيضًا تنبيه التقدميين إلى ضرورة ممارسة النقد الذاتى فيما يخص كل المحاولات الواهية للتكيف مع روح العصر ، والعجز عن رفض ما يجب رفضه . وكذلك فيما يخص كل أوجه القصور المتعلقة بالجوهر الدينى ، والمذهب اللاهوتى ، والالتزام الأخلاقى ، وذلك فيما يتصورونه من ديانة ليبرالية حديثة ، ليس لها قوانين تحكمها ، ولا حدود توضحها .

ثالثًا : إيجابيًا ، لابد من انتهاج طريق روحانى جديد ، وممارسته بصدق وأمانة ، وخاصة من قبل هؤلاء الذين لا يقبلون سلطة الكنيسة الكاثوليكية ، ولا حرفية الكنيسة البروتستانتية ، ولا تقاليد الكنيسة الأرثوذكسية ، أو أولئك الذين لا يرضون بالتيارات الرجعية ذات الأصل اليهودى ، أو الإسلامى .

رابعًا : على الرغم من كل الصعوبات والتناقضات ، فلابد أيضًا من السعى لفتح حوار مع المتطرفين ، بل لابد من التعاون معهم ،

ليس فقط فى المجالات السياسية والاجتماعية ، بل أيضًا فى مجال العلوم الدينية .

خامسًا : ولكن إذا قام تحالف بين التطرف من ناحية ، والقوة السياسية ، والعسكرية - البوليسية ، من ناحية أخرى (كما هو الحال فى بعض الدول الإسلامية ، وموقفها من سلمان رشدى) ، أو بين التطرف من ناحية ، والسلطة الدينية من ناحية أخرى (ولنذكر الفاتيكان كمثال لذلك ، وما يقوم به من أعمال ضد بعض رجال الدين ، والأساقفة ، والنساء) فى مثل هذه الحالة ينبغى مقاومة التطرف بصورة حازمة وشديدة ، وذلك على الصعيدين الداخلى والخارجى .

وهكذا لعل الديانات السماوية الثلاث تجد تدريجيًا - فى هذا العصر الصاخب ، الممتلئ بالخلافات الدينية ، والنزاعات العنصرية الحديثة - طريقًا وسطًا بين الحداثة بلا أساس[1] ، والتطرف بلا عصرية ، وبلا نقد ذاتى ، وبلا تسامح ، ولا استعداد للحوار والمناقشة . طريق وسط بين التحرر والانغلاق ، بين التنبلة والنشاط .

٥ - التأثير المزدوج للدين

ولكن مهما يكن مصير التطرف ، فمن المؤكد أن الجانب الدينى كثيرًا ، بل غالبًا ، ما يلعب دورًا هامًا فى أى نزاع بين الشعوب ، أو الأجناس المختلفة ، فالدين - باعتباره ظاهرة إنسانية - له تأثير مزدوج ، تمامًا مثل الموسيقى ، والفن ، اللذين أسىء ، ومازال يساء

(١) أى الحداثة التى أقامت قطيعة مع الموروث ، فأصبحت بناء لا أساس له من الموروث . (م.ع)

استخدامهما بشدة . ذلك أن الأديان هى أيضًا أنظمة حكم وقوة ، تحرص على توطيد دعائم الاستقرار ، وتوسيع مناطق نفوذها . والأديان باستطاعتها أن تشعل الحروب ، ولكن يمكنها أيضًا أن تقيم السلام ، فالدين من الممكن أن يكون عامل إثارة وتهييج ، ولكن يمكن أيضًا أن يكون عنصر تهدئة وتسكين . إن الدين يمكن أن يسبب الحروب ، ويضرم نيرانها ، ويطيل أمدها ، ولكن الدين يستطيع أيضًا أن يمنع اندلاع الحروب ، ويقصر من وقتها إن اندلعت .

فالسلام بين فرنسا وألمانيا وإيطاليا قد وضع أساسه مسيحيون (وكاثوليك) متدينون : شارل ديجول ، وكونراد اديناور ، وروبرت شومان ، والسيد دى جاسبيرى .

كذلك فقد مهدت مذكرة من الكنيسة البروتستانتية الطريق أمام السلام بين بولندا وألمانيا ، والثورات السلمية فى بولندا ، وألمانيا الشرقية ، وتشيكوسلوفاكيا ، وأيضًا فى جنوب أفريقيا والفلبين ، قد أثبتت أن الدين يمكن أن يلعب دورًا مؤثرًا فى تثبيت دعائم السلام فى العالم .

وباعتبارى من رجال الدين المسيحى ، فإنى مقتنع تمام الاقتناع بأن الإسلام أيضًا يمكن أن يساهم بدور فعال فى نشر السلام فى العالم ، إذا استغل ما لديه من فاعلية ومقدرة على توطيد السلام ، وذلك من خلال تراثه الدينى العظيم .

ما مدى خطورة الحركة الإسلامية؟

بلاغة معادية للغرب وعنف في الدول الإسلامية

بقلم الباحث السويسري: أرنولد هوتينجر

تقديم المترجم

كاتب هذا المقال - المستشرق والباحث أرنولد هوتينجر - هو الخبير السويسرى الأول فى شئون الشرق الأوسط، وكثيرًا ما تستدعيه الحكومة السويسرية في برن، عند حدوث أزمات فى الشرق الأوسط، لتطلب مشورته. وقد ترجم هوتينجر بعض النصوص العربية إلى الألمانية، كما أنه ألف عدة كتب عن الشرق الأوسط منها كتابه الذى ظهر عام ١٩٩٣ عن التطرف الإسلامى.

لعل أهم ما ورد فى مقال هوتينجر هذا هو أن الحركة الإسلامية تضعف حكومات الدول التى تكون نشطة فيها، بدلاً من أن تقويها. وأكتفى هنا بتعليق مختصر على هذه الملاحظة: فمن الأشياء الكثيرة التى نجح فيها بنو إسرائيل، وفشلنا نحن فى إنجازها منذ قيام الثورة وحتى الآن، هى عجزنا عن تصميم رؤية قومية، أو مشروع قومى يستوعب الاتجاهات والمدارس الفكرية الموجودة فى البلاد، بحيث يجد كل اتجاه لنفسه وظيفة، وأهدافًا محددة، يسعى لتحقيقها في نطاق هذا المشروع، دون أن يضر بالمجتمع، أو يحاول اغتيال السياح الأجانب، أو قتل الأبرياء من أبناء الوطن. فعبد الناصر كان لديه مشروعه القومى العلمانى الذى تعارض مع مشروع سيد قطب الدينى، وبدلاً من السعى لإيجاد حل وسط، أو مشروع يستوعب الفكرتين القومية والدينية

جميعًا ، قام عبد الناصر بإعدام سيد قطب . ولكنه لم يحل المشكلة التى مازلنا نعانى منها حتى الآن . ما نود أن نقوله هنا هو أن المتطرفين موجودون فى كل مكان ، والنظام الذكى فقط هو الذى ينجح فى تسخيرهم للعمل لحسابه . وهذا هو ما فعلته إسرائيل ، حيث سمحت لهم بالمشاركة فى الحياة السياسية ، والتمثيل فى الكنيست ، وقامت بمهارة وخبث بتسليط طاقاتهم الكامنة ضد الفلسطينيين ، أى أن حكومة إسرائيل تخلصت من نار هؤلاء المتطرفين ، وفى نفس الوقت سخرتهم لتنفيذ مخططاتها . أما نحن ، فما زلنا حتى الآن عاجزين عن إيجاد حل لهذه المشكلة ، فهل نتعلم يا ترى من الخصم ؟ وقد أورد هوتينجر فى مقاله هذا بعض الملاحظات الذكية جداً ، كما أنه ذكر أشياء لا نتفق معه فيها ، ولكن هذا لا يمنع من أن نقرأ ما كتبه ، ونرى كيف ينظر الغربيون إلى ظاهرة التطرف فى العالم الإسلامى . وقبل أن نترك هوتينجر يبين وجهة نظره ، نود أن نشير إلى أنه متحامل على الإسلام ، وأنه يساهم بكتاباته الواسعة الانتشار فى سويسرا فى رسم صورة مشوهة وقبيحة للإسلام والعرب فى عقول الغربيين .

مقدمة

الحركة الإسلامية (der Islamismus) - أى الصياغة الأيديولوچية والسياسية للإسلام التى تحكم اليوم إيران والسودان ، وتلعب دورا كأيديولوچيا معارضة فى الجزائر وتونس ومصر ، ودول إسلامية أخرى - تهاجم أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية بشدة . ومن الممكن أن يكون هذا الهجوم الشفوى مصحوبا بالتهديدات ، والهجمات الإرهابية . لذلك فمن الطبيعى أن تبدو الحركة الإسلامية ، بل وأى محاولة لإحياء الإسلام ، فى الغرب ، على أنها تهديد خطير . حتى أن بعض الأوروبيين يتساءلون إذا كانت الحركة الإسلامية من الممكن أن تكون العدو الجديد للغرب ، وذلك كبديل للاتحاد السوفيتى ؟

إن تقييم الإسلام ، بصورة عامة ، على أنه يمثل تهديدا دينيا متطرفا ، هو تقييم خطير ، لأنه يساعد الإسلاميين على تحقيق أهدافهم . فهذا التقييم يقبل ضمنيا ، بطريقة غير مباشرة ، ادعاء أصحاب الأيديولوچيات الإسلاميين بأنه لايوجد من يمثل الإسلام بالمعنى المطلق ، إلا هم وأتباعهم فحسب . ويقبل هذا التقييم أيضا من هذه الناحية أيديولوچية الإسلاميين الذين يدعون أن هناك نوعا من العداء المستحكم بين الإسلام والغرب ، وأن ثمة تنافرا بينهما جعلهما عدوين لدودين . بيد أن هذا الادعاء ليس

صحيحا . فالإسلاميون لايمثلون ، إلا مجموعة صغيرة داخل الإسلام ، ولكنهم يستطيعون ـ تحت ظروف معينة ـ تعبئة عدد كبير من المؤيدين والأتباع ، كما أظهرت ذلك سنوات الثورة الإيرانية ، أو الانتخابات الجزائرية مثلا . وهذه الأوضاع هى نتيجة لعدم الرضاء عن الحكومات الموجودة فى تلك الدول ، والاستياء من الأحوال السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، القائمة فى ظل حكمها . وهذا الاستياء من الممكن أن يكون له ما يبرره بصورة أو بأخرى ، ولكنه يشير فى الواقع ، فى جميع الأحوال ، إلى أوضاع سيئة حقا . أما إذا كان نظام حكم إسلامى يستطيع ـ فى حالة وصوله إلى الحكم ـ أن يحكم فعلا بصورة أفضل من تلك الأنظمة التى أسقطها الإسلاميون ، أو يريدون إسقاطها ، فهذا سؤال آخر .

١ـ الإسلاميون يحاربون حكوماتهم

على الرغم من بلاغتها المعادية للغرب ، إلا أن الحركة الإسلامية موجهة فى الممارسة السياسية ضد حكومات الدول الموجودة فيها هذه الحركة الإسلامية . فهذه الحكومات هى التى يريد الإسلاميون الإطاحة بها ، وإسقاطها . بيد أن البراهين والحجج التى يستخدمها الإسلاميون لذلك هى فى معظمها ذات طبيعة معادية للغرب . فالنظام الذى يهاجمه الإسلاميون ، يصفونه بأنه «خادم الغرب» (والشاه خادم الأمريكيين) . ويحلو للمتشددين الإسلاميين أن يصنفوا مثل هذه الأنظمة على أنها ليست فى واقع الأمر إسلامية ، ولكن جاهلية . والجاهلية فى الإسلام ـ عصر

الجهل[1] ـ تمثل العصر الذى سبق ظهور الرسول (ﷺ) . ونقابل هنا نفس النزعة المذكورة سابقا ، وهى نزعة رئيسية فى فكر الإسلاميين ، بأنهم وحدهم المسلمون الحقيقيون ، ولذلك فهم وحدهم الذين يمثلون الإسلام بمعناه المطلق . وبالطبع فليس من قبيل المصادفة أن يجعل الإسلاميون الطعن فى الغرب ، وفى حكوماتهم ذاتها التى يزعمون أنها تابعة للغرب ، محورا لدعايتهم . إنهم يشيرون بذلك إلى أحقاد متأصلة اليوم فى جميع مجتمعات العالم الثالث تقريبا ، ولكن بصورة خاصة عند جيران أوروبا القريبين من العرب والمسلمين . ولهذه الأحقاد علاقة بتغطية (Ueberlagerung) تلك المجتمعات من قبل قوى الغرب العسكرية ، والاقتصادية ، والعلمية ، والثقافية ، والتكنولوجية ، والأيديولوچية ، وتعانى الشعوب غير الأوروبية ـ وربما كانت معاناة الشعوب الإسلامية أكثر من معاناة جميع شعوب آسيا ـ منذ بداية القرن التاسع عشر وحتى يومنا هذا ، من هذه التغطية ، أو التفوق الغربى .

٢ـ مائة عام من الفشل والإخفاق

وهذه التغطية الغربية ـ وهى تغطية تظهر بوضوح فى أى مدينة فى الشرق الأوسط ، من خلال الفصل بين المدينة والمدينة الجديدة

(١) الجاهلية ـ فى المصطلح العربى والإسلامى ـ ليست من الجهل ، وإنما هى حالة فكرية واجتماعية تطلق على الزمن والواقع إذا اجتمعت فيه خصائص ثلاثة :
(أ) أن يكون زمن فترة بين رسولين . (ب) وأن تغيب الشريعة الدينية عن الوجود أو عن العمل . (جـ) وأن يكون الشرك ـ نقيض التوحيد ـ هو محور الاعتقاد . . وقد توجد فى مجتمعات لا تجتمع فيها مقومات الجاهلية الكاملة شوائب جاهلية . (م ،ع) .

(أو بين القرية والمدينة) ، ومن خلال الملابس التقليدية والملابس الأوروبية للسكان - كانت مقبولة من وجهة نظر الكثيرين ، طالما أن الأمل كان معقودا على أن التأثيرات الغربية ستجلب لبلادهم فى نهاية الأمر الهيبة والرفاهية . بيد أن الشكوك حول هذا الأمر كانت فى تزايد مستمر : فى العالم العربى بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وفى إيران بعد تطور مخفى ، وبصورة مفاجئة جدا ، عندما انهار الانتعاش الاقتصادى (سنة ١٩٧٨) الذى أعقب تضاعف عائدات البترول سنة ١٩٧٤ ، بانهيار تلك العائدات . فإمكانية أن يؤدى طريق التغريب الذى كانت صفوة المجتمع فى مصر والإمبراطورية العثمانية مثلا ، فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، قد بدأته ، حقا إلى رفع جميع مجتمعات الشرق الأوسط إلى مستوى مشابه ومساو للغرب ، كانت فى تضاؤل مستمر . وليست هذه المساواة مع الغرب ، أو حتى التفوق عليه ، مطلبا سياسيا واقتصاديا فحسب - وذلك بالطريقة التى ينادى بها المسلمون بهذا المطلب من أجل حريتهم ، واستقلالهم الثقافى ، ورفاهيتهم - بل إن هذا المطلب كان له أيضا بعد أو جانب دينى . فحسب القرآن ، وبناء على تاريخ مزدهر جدا ، صار عمره اليوم ألف وأربعمائة سنة ، يجب على المسلمين أن يصلوا إلى المستوى الذى وصفتهم به الآية الكريمة : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ [آل عمران : ١١٠] . فإن عجزوا عن تحقيق ذلك ، لأن أمما أخرى أثبتت بوضوح أنها أقوى وأنجع ، فلابد أن يكون ثمة شىء خطأ يرتكبه المسلمون فى ممارسة دينهم . وطالما استمر هذا التناقض بين الواقع الملموس وهذا المطلب المبنى على الدين ، فلابد أيضا أن يستمر إحساس غامض نوعا ما بعدم الارتياح . ويتفاقم هذا الإحساس عندما تبدو احتمالات التغيير الحقيقى للأوضاع القائمة ضئيلة ، بل ولايمكن تصديقها .

٣ـ الشك فى الدين والتشكيك فى أسلوب الحياة

إذن فالرغبة الملحة ، لتغيير الأوضاع القائمة ، لم تكن نابعة من الحاجة إلى حياة أفضل فى هذه الدنيا فحسب ، ولكنها كانت أيضا مبنية على أساس التكليف الدينى بجعل أمة المسلمين أمة منتصرة ، مباركة بجلاء من الله تعالى ، مرة أخرى ، وهو ما يجب أن تكون عليه الأمة الإسلامية من وجهة نظر المسلمين . وقد بدأ التحول الإسلاسى عندما ازداد الأمر وضوحا للكثير من المسلمين أن أمتهم لم تظفر بالنجاح المأمول والمنتظر من الطريق الذى نهجته منذ القرن التاسع عشر ، بل إن النتائج كانت عكسية . وتبع خيبة الأمل ، والاستياء من النتائج المتواضعة ، بل العكسية ، لجهود التغريب ، رد فعل كانت جماعات صغيرة قد أعدته من قبل . فالإخوان المسلمون كانوا يدعون إلى مذهب إسلامى فى مصر منذ سنة ١٩٢٨ ، وفى جميع أنحاء العالم العربى منذ سنة ١٩٣٠ . وقام المودودى بذلك فى باكستان منذ تأسيسها سنة ١٩٤٧ . ويقول هذا المذهب : إنه بدون العودة إلى دين إسلامى جاد ، وبدون ممارسة قواعد الإسلام ، مع استبعاد التصورات والتطورات غير الإسلامية ، فلن يكون هناك خلاص للمسلمين . أو بعبارة إيجابية : الخلاص مؤكد ، إذا طبق المسلمون القوانين الإسلامية بحذافيرها ، واتبعوا الأخلاق الإسلامية ، أيضا فى المجال الحكومى الذى لا يريد الإسلام ، ولا يستطيع أن يفصله عن المجال الدينى .

٤- خطر على المسلمين

ومـثل هذا المذهب يمثل فى المقـام الأول خطرا كـبـيـرا على الحكومـات «المتـغـربة» (verwestlichen) فى الواقع العـملى ، وعلى الطبقات العليا فى الدول التى ينتشر فيها هذا المذهب . فهذا المذهب يهـدف قـبل كل شىء إلى تولى السلطة فى مـحـيطه الداخلى الذى ينظر إليـه على أنه مـحـيط قـد أفـسـدته المؤثرات الغربية . والحقيقة أن الحركة الإسلامية ـ كأيديولوچيا معارضة ـ تعتبر قوية فى محيطها الإسلامى ، لأن مبادئها تهتم بإحباطات المسلمين المتزايدة منذ أجيال ، وتقدم الوعود بإزالة أسباب هذه الإحـبـاطات . ولكن لابد أيضـا من مـلاحظة أن الأيديولوچيـا الإسلامية ، فى حالة المعارضة ، تعد بأشياء يُستبعد أن تفى بها ، لو كانت فى موقع السلطة . فضعف الدول الإسلامية ، وما تبع ذلك من إمكانيـة اسـتـغـلالهـا ، هو نتـيـجـة لظروف قـهـرية (Sachzwaenge) لايمكن تغييرها بسهولة ، بمجرد قبول مذهب ايديولوجى يدعى أنه هو «الإسـلام» . فـالإسـلامـيون يؤكـدون أن مذهبهم سيغير الأفراد ، وأن هؤلاء الذين تغيروا يمكنهم أن يواجهوا تحديات مجتمعاتهم بأسلوب آخر . ولهذا التغيير أيضا توجد آية قرآنية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَـوْمٍ سُـوءًا فَـلا مَـرَدَّ لَهُ وَمَـا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ (١١) ﴾ [الرعد : ١١] . ولكن حتى الآن لايوجد الكثير مما يُشير إلى مثل هذا التحول الداخلى (أى تغيير ما فى النفوس) ، لا فى إيران ، ولا فى السودان ، ولا فى باكستان حيث كان هناك أيضا محاولات لتأسيس دولة إسلامية بالمفهوم الإسلامى .

٥ـ إسلام الشريعة الشكلى

يبدو أن إحداث تغيير حقيقى فى نفوس البشر أمر صعب التحقيق حقا ، طالما أن الإسلاميين يُصرون على أن الإسلام يساوى الشريعة كما صاغها الفقهاء فى العصور الوسطى المبكرة ، وفقا لفهمهم للروايات والنصوص الإسلامية فى ذلك الوقت فهذه الشريعة ـ بكل ما تحتويه من تفاصيل لا تناسب عصرنا هذا (فهى تقبل فى الواقع الرق ، على الرغم من أنها توصى بتحرير العبيد كعمل صالح)[1] ، تفرض على مَن يطبقها شكليات ضخمة : أى التنفيذ الشكلى لتفاصيل أحكام دقيقة عفى عليها الزمن ـ لن تستطيع تغيير ما بـ«النفوس» ، ولن تنجح فى التأثير على سلوك الأفراد ، بحيث يستطيعون القيام بالعمل المكلفين به : أى الوصول فى الوقت الحاضر إلى مكانة ترفع من مستوى المسلمين ، وتجعلهم شركاء فعالين ومحترمين فى النظام العالمى المعاصر . والأكثر من ذلك أن الإسلاميين يُثيرون الانطباع بأنهم يريدون الاعتماد على معجزة إلهية ، يعتقدون أنها ستحدث لا محالة ، إذا هم طبقوا الشريعة الإسلامية بصرامة ، وبدقة كافية . ولكن طالما أنهم عاجزون عن بحث أسباب نشأة هذه الشريعة ، وخلفيات هذه النشأة ، وطالما أنهم عاجزون عن قراءة النصوص الأساسية ـ التى اشتقت منها الشريعة فيما بين القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ـ

(١) الكاتب يخلط بين «الشريعة» ـ وهى منهاج وقواعد ومبادئ وفلسفة تشريع – صالحة لكل زمان ومكان ـ وبين «الفقه» ـ علم الفروع والتفاصيل ـ وهو متطور فى إطار كليات «الشريعة» . . كما يخلط بين «اعتراف» الإسلام ـ إبان ظهوره ـ بالرق ـ كواقع اجتماعى واقتصادى ـ مع السعى لتصفية هذا الواقع تدريجيا ـ وبين «قبول» هذا الواقع ، فضلا عن «تشريعه . . وتأييده» . . (م ع) .

قراءة جديدة وعصرية ، فلن يحدث هذا التحول المأمول . بل وسيزداد كثير من الظواهر التى قد بدأت فى الظهور حديثا فى الدول التى يحكمها الإسلاميون : خلافات حول الحلول الإسلامية حقا للكثير من المشاكل الناتجة عن الحضارة الحديثة ، من تأسيس جامعة «إسلامية» ، حتى سياسة خارجية «إسلامية» ، أو سياسة أقليات «إسلامية» ؛ ومن حقوق إنسان «إسلامية» ، حتى حقوق المرأة «الإسلامية» ، وكذلك الأسئلة المثارة حول نظام اقتصاد «إسلامى» ، وهى أسئلة ذات مسائل فرعية ، مثل مسألة إصلاح زراعى «إسلامى» ، ومسألة تجارة خارجية «إسلامية» ، ومسألة أعمال بنكية «إسلامية» ، والكثير غير ذلك . على أن المحاولات المستمرة للرجوع إلى نظام الشريعة ، كما كانت فى العصور الوسطى المبكرة ، تمنع فى حالات كثيرة حلا عصريا(٢) .

٦ـ إضعاف الحكومات الإسلامية بدلا من تقويتها

يمكننا أن نستنتج من الوضع الذى صار واضحا حتى الآن أن الحركة الإسلامية تُضعف الحكومات فى الدول التى تكون نشطة فيها . فالحركة الإسلامية ـ عندما تكون فى معسكر المعارضة ـ أثبتت أنها أيديولوچيات معارضة فعالة ، يمكنها زعزعة الدولة القائمة وإضعافها . أما إذا تولت الحركة الإسلامية شئون الحكم ، فهى تمنع إيجاد حلول تناسب العصر للمشاكل المعاصرة . فالحركة الإسلامية تسلب نفسها إمكانية إيجاد أجوبة عصرية على أسئلة العصر . وهى عاجزة عن ذلك بسبب اعتقادها أنها لابد أن

(٢) لو ميز الكاتب بين «الشريعة» ـ كمنهاج ـ وبين «الفقه» ـ كاجتهاد دائم متطور ـ لما قال بمنع الشريعة لوجود حلول عصرية (م.ع) .

تتمسك بالشريعة الموقرة ، ولكن التى صيغت لعصور أخرى ، وبالتركيب القانونى المرتبط بتلك العصور . فتعبيرات «القانون الدينى» ، أو «القانون الإلهى» ، ليست مناسبة ، لأنها تخفى الوضع الذى ينبغى أن يكون كل عالم مسلم مدركا له ، وهو أن هذا القانون الإلهى قد وضعه بشر ، هم فقهاء صدر الإسلام الذين قدموا فهمهم للروايات والنصوص المقدسة . أما إذا قبلنا أن نساوى الإسلام بالشريعة ، فسنجد أن جميع أعمال الإنسان مصنفة بدقة فى خمسة أبواب ، هى : الإباحة ، والاستحباب ، والتخيير ، والكراهة ، والحرمة[٣] . وتتمتع هذه النصوص بهيبة اعتمادها على النصوص المقدسة ، وعلى تاريخ عظيم وعريق . ولهذا السبب يسهل على الإسلاميين ، عندما يكونون فى معسكر المعارضة ، أن يؤكدوا لأتباعهم ولأنفسهم أنهم يعرفون تماما ما هو الحق ، وما هو الباطل .

٧ـ اختبار قوة

ولكن بمجرد وصول الإسلاميين إلى الحكم ، يتحول التقبل الحتمى للشريعة إلى نقطة ضعف . فالإسلاميون مجبرون ، فى بعض الحالات ، على إيجاد مخارج شكلية ، للتحايل على الشريعة ، وتنفيذها شكليا ، على الرغم من ذلك . وفى حالات أخرى تقيد الشريعة حياة الأسر ، والمجتمعات ، وكذلك أفق أفرادها ، فى أبنية متحجرة لا تسمح للإسلاميين ، ولا للشعوب التى يحكمونها ، بتأسيس دولة حديثة . وكما يوضح نموذج إيران ،

(٣) هذا خطأ . والصحيح أن الأبواب الخمسة هى : الوجوب ، والحرمة ، والاستحباب ، والكراهة ، والإباحة . (م ع) .

يمكن للحكام الإسلاميين أن يسمحوا بديمقراطية ظاهرية . ولكن يبدو أنهم يعتقدون أنه ليس بإمكانهم فتح باب السياسة حقا أمام التيارات المعارضة التى يعتبرونها «غير إسلامية» . وهم يعتقدون أنه ينبغى عليهم منع المعارضة ضد الإسلام (بالطريقة التى يفهمونه بها) ، أو يخشون بكل بساطة أن تؤدى الاتجاهات السياسية الأخرى إلى ضعضعة سلطتهم التى ينظرون إليها بسذاجة على أنها سلطة «الإسلام» ، وهذا بدوره يؤدى إلى القضاء على الإسلام . وتنطبق على قطاع الإعلام ، بل وعلى الحياة الفكرية برمتها ، حدود ضيقة مشابهة . وطالما أن الشريعة يُنظر إليها على أنها «الإسلام» ، وبالتالى ضرورة سيطرتها المطلقة بلا منازع ، فلا يمكن أن تتوفر حرية الفكر . ولكن كل هذه مخاطر ، كما ذكرنا سابقا ، تمثلها الحركة الإسلامية لدولها نفسها . وليس للعالم الخارجى .

٨ـ تحويل الطاقات المحبطة نحو الخارج

إلا أنه يمكننا أن نتخيل حالات يمكن فيها أن تكون مثل «دولة الشريعة» هذه خطرا على العالم الخارجى ، لافتقادها النجاح فى الداخل . فإيران قد استغلت من قبل حربا خارجية ـ تلك الحرب التى بدأتها العراق سنة ١٩٨٠ ـ وتعمدت إيران إطالة هذه الحرب أكثر من اللازم ، لأن حكامها كانوا يأملون بذلك توحيد البلاد ، وتحقيق نجاح خارجى ، وهو ما لم يتحقق . إن محاولة صرف الانتباه عن الاستياء الداخلى من أوضاع سيئة لا نهاية لها ، عن طريق مغامرات خارجية ، محتملة الوقوع دائما . وتزداد هذه المحاولات ، كلما اتضح للحكام أنهم لن يحققوا وعدهم ببناء أمة قوية ،

وغنية ، وذات هيبة . ومثل أنشطة صرف الانتباه هذه من الممكن بسهولة أن تتخذ شكل أعمال إرهابية موجهة ضد العدو والمنافس الغربى . ويبدو أن محاولة من هذا القبيل ، بمساعدة سودانية ، ومصرية ـ إسلامية ، قد تمت ، واكتشفت فى نيويورك ، وإن كانت نتائج التحقيق القضائى لم تظهر بعد . وعندما تزداد التوترات الداخلية ، تظهر مخاطر تزايد عمليات مشابهة من نوع الإرهاب الذى تمارسه الدولة . أو أكثر من ذلك يجرى البحث عن أى مغامرة عسكرية . ومن المحتمل أن يحدث ذلك فى النطاق المحلى للدول المعنية : بالنسبة لإيران فى منطقة الخليج مثلا ، وبالنسبة للسودان فى اتجاه مصر[1] . وحتى يومنا هذا يوجد عجز فى الوسائل العسكرية يعوق القيام بأعمال عسكرية فى مناطق بعيدة . فعدم تدخل الدول المسلمة ، والبلاد الإسلامية ، عسكريا فى البوسنة ، يثبت إدراك قيادات هذه الدول لهذا العجز . وعلى الرغم من ذلك يبدو أن إيران ـ بعائداتها البترولية الضخمة ـ تسعى فى الوقت الحالى لشراء الأسلحة من سوق السلاح فى كوريا والاتحاد السوفيتى سابقا . وهذا أمر يتطلب بالتأكيد يقظة دائمة ، كما ينبغى فرض رقابة على جميع أنواع التكنولوجيا المصدرة التى يمكن استخدامها فى تصنيع السلاح .

٩ـ المسلمون فى أوروبا كهدف للإسلاميين

نتج عن وجود ١٢ مليون عامل مسلم ، يعيشون ، وسيعيشون ، فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ، بعض المخاطر ، فجزء

---

(١) إن التطورات فى العلاقات الإيرانية ـ العربية . . وفى العلاقات المصرية ـ السودانية ، تشهد على خطأ هذا التحليل . (م ع) .

صغير جدا ، نسبة مئوية صغيرة ، أو أقل ، من هؤلاء العمال ينتمى إلى معسكر الإسلاميين . ولكن هذه الأعداد من الممكن أن تزيد بسرعة ، إذا اتبع الأوروبيون سياسات خاطئة لمعاملة العمال الأجانب . فكل ظلم يشعر المسلمون أنهم تعرضوا له ، بلا حماية ، سوف يقودهم إلى معسكر الإسلاميين . ومهما كانت الجماعات الإسلامية فى أوروبا اليوم صغيرة ، فهى تمثل أماكن استقبال ، من الممكن أن ينجذب إليها معظم مسلمى أوروبا الذين يشعرون بالمعاملة السيئة ، أو الظالمة ، فى دول العالم الصناعى . وتسرى فى أوروبا أيضا نفس القواعد التى تؤدى إلى تقوية المعارضة الإسلامية فى الشرق الأوسط : فكلما ساءت أحوال الشعوب المسلمة واقعيا ، وكلما بدا لهم ، من وجهة نظرهم ، أن وجودهم فى أوروبا ميؤوس منه ، كلما صاروا غنيمة سهلة للإغراءات الإسلامية . ويبدو أن أجهزة الأمن فى الدول الصناعية ليست مؤهلة بعد للتفريق بأسلوب يمكن الاعتماد عليه ، بين العمال الأجانب الذين لا يُثيرون المشاكل ، وهؤلاء الذين ينتمون إلى جماعات إسلامية نشطة . وأحداث نيويورك مفيدة هنا أيضًا . فقد حذرت أجهزة الأمن المصرية نظيرتها الأمريكية ، أن رجل الدين الضرير ، الذى صار مشهورًا فى تلك الأثناء ، عمر عبد الرحمن ، متطرف خطير . ولكن أجهزة الأمن الأمريكية لم تتمكن من العثور على اسمه فى أجهزة الكومبيوتر الخاصة بها ، حتى وقع انفجار المركز التجارى العالمى فى نيويورك ، فى السادس من فبراير سنة ١٩٩٣ . فلا الكومبيوتر ، ولا الموظفون العاملون عليه ، كانوا يعرفون أن اسم عمر عبد الرحمن يمكن كتابته بالحروف اللاتينية بأربعين طريقة مختلفة ، يمكن اعتبارها جميعا صحيحة . وقد استخدم المحذرون

المصريون طريقة للكتابة ، وكان الاسم مسجلا فى الكومبيوتر بطريقة أخرى . وبقدر ما ينتج عن ذلك من أخطار لأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ، فلابد من مواجهة هذه الأخطار فى المقام الأول من خلال الفهم الحقيقى للآليات الفكرية والتنظيمية التى تحرك الإسلاميين . فالأعمال المضادة الفعالة يمكن أن تبدأ عند هذه النقطة فقط ، لأن الأفكار ، أيضا تلك التى تشوه الحقيقة ، لايمكن محاربتها ، إلا بالأفكار . وبقدر ما تمثل الحركة الإسلامية تهديدا للمصالح والحكومات القائمة فى العالم الإسلامى (وتضر بذلك بطريقة غير مباشرة بالطبع بالعالم الغربى القريب) ، فلن يمكن مقاومتها ، إلا بالقضاء على مراكز الاضطراب القائمة فى العالم الإسلامى ، وإصلاح الأوضاع السيئة الموجودة حاليا بقدر الإمكان . هذا هو الثمن الذى ينبغى دفعه للتغلب على الايديولوجيا الإسلامية فى المنطقة العربية .

قضية سلمان رشدى

خلفيات العلاقة المتوترة بين الشرق والغرب

بقلم: إسماعيل أمين

تقديم المترجم

أصل هذا البحث محاضرة ألقاها الباحث المصرى إسماعيل أمين فى زيورخ باللغة الألمانية ، حيث كان المستمعون من السويسريين والألمان . والحديث إلى غير المسلمين ليس كالحديث لجمهور مسلم . فعندما نخاطب جمهورا أوروبيا ، لايمكننا أن نجادل بالقرآن والحديث ، لأنهما ليسا حجة عندهم . وبعبارة أخرى لايمكننا أن نقنعهم بوجهة نظرنا عن طريق قولنا : «قال الله» ، و«قال الرسول» ، لأنهم ليسوا مؤمنين أصلا برسولنا ، ولا بإلهنا . فالمسلمون يقولون : قال الله ، وقال الرسول ، ويقول الغربيون : قال أرسطو ، وقال أفلاطون ، وقال ماركس ، وقال كنت ، وقال شوبنهور ، وقال هيجل ، إلى آخره .

وليست هذه ظاهرة جديدة ، أو مستحدثة ، بل إنها قديمة قدم الأديان نفسها . ولعل أفضل مثال لمن واجه هذه الظروف هو مدرسة المعتزلة ، بعظماء مفكريها . ففى مجالس الكلام التى كان يحضرها فلاسفة المعتزلة ، كان هناك قواعد متفق عليها ، يسيرون عليها ، وحدود لا يتعدونها .

وقد وصف لنا طرق الجدل المتبعة فى هذه المجالس أحد مرتاديها ، فقال : « . . . رأيت مجلسا قد جمع الفرق كلها ، المسلمين من أهل السنة والبدعة ، والكفار من المجوس ، والدهرية ،

والزنادقة ، واليهود ، والنصارى ، وسائر أجناس الكفر . ولكل فرقة رئيس ، يتكلم عن مذهبه ، ويجادل عنه . فإذا جاء رئيس ، من أى فرقة كان ، قامت الجماعة إليه قياما على أقدامهم ، حتى يجلس ، فيجلسون بجلوسه . فإذا غص المجلس بأهله ، ورأوا أنه لم يبقَ لهم أحد ينتظرونه ، قال قائل من الكفار : قد اجتمعتم للمناظرة ، فلا يحتج علينا المسلمون بكتابهم ، ولا بقول نبيهم ، فإنا لا نصدق بذلك ، ولا نقر به . وإنما نتناظر بحجج العقل . وما يحتمله النظر والقياس . فيقولون : نعم ، لك ذلك» .

نستشهد بهذه الرواية ، لنلفت نظر المسئولين فى الدول الإسلامية الذين لا يفهمون عقلية الغربيين ، حيث أنهم كلما اجتمعوا ، لبحث وسائل الدفاع عن الإسلام ضد مطاعن أعدائه ، وجدناهم يقررون ترجمة عدد من الكتب العربية ، المكتوبة للقارئ المسلم ، وذلك لإقناع غير المسلم بصحة العقيدة الإسلامية . فليس مستغربا ، ألا تجدى هذه الأساليب نفعا .

وبحث الدكتور أمين هذا - بصرف النظر عن كونه يُخاطب العقلية الأوروبية ، وينبهها إلى أشياء ينظر إليها الغربيون بعين الاستغراب - إلا أنه مفيد جدًا للقارئ العربى ، متخصصا كان ، أم غير متخصص . فقد تعمد الأستاذ أمين أن يستخدم كتابات غربية فقط فى بحثه هذا . ويهم كاتب هذه السطور أن يعرف القارئ العربى أسماء كبار أساتذة الدراسات الإسلامية فى

الغرب ، وأفكارهم ، وتطور نظرتهم إلى الإسلام . فليس صحيحا أن كل المستشرقين يشتمون الإسلام . فهناك أقسام للدراسات الإسلامية فى جامعات أوروبا وأمريكا يقدم أساتذتها من الدراسات العظيمة ، والأبحاث الممتازة ، ما تحتاج الجامعات المصرية إلى عشرات السنين ، حتى تصل إلى مستواها الرفيع ، ونوعيتها المميزة .

ولن نخوض هنا فى أسباب هذا التدهور ، الممتد إلى جميع جوانب حياتنا ، ولكننا نؤكد أن الضعف ، أو العلة تكمن فى النظام ، والقوانين وليس فى الأشخاص ، بدليل تفوق المصرى فى الدول الغربية التى تسير على نظام عملى ناجح ، يُعطى العلماء حقوقهم ، ويوفر لهم سبل البحث العلمى ، ووسائل الراحة النفسية . بعكس الأنظمة التى نتبعها فى مصر ، حيث نبخس العلماء حقوقهم ، ولانعرف قيمة العلم ، بل ونعزله عن حياتنا العملية ، وكأن هذا لا علاقة له بتلك .

سيقرأ القارئ أسماء ، قد تكون جديدة عليه ، خاصة فى حقل الاستشراق الألمانى ، مثل البروفيسور يوسف فان إس ، وهو أستاذ يحترمونه فى الغرب ، ويعترفون بفضله فى مجال تاريخ العقيدة الإسلامية . ولكن يؤخذ عليه أنه مازال يسير على نهج المستشرق جولدتسيهر فى بعض كتاباته التى تهكم فيها على الإسلام ، ونبى المسلمين . وقد كتب فان إس رسالة الأستاذية عن أحد مجلدات كتاب «المواقف» للإيجى ، كما أنه حقق ونشر بعض المخطوطات الخاصة بعلم الكلام ، وهجوم أهل الحديث على عمرو ابن عبيد .

وهناك أيضا عالم الأديان السويسرى الشهير هانس كينج ، وهو عالم فاضل ، غزير الإنتاج ، واسع الصدر ، فصيح اللسان ، جهير الصوت ، وهو صاحب النظرية المعروفة القائلة بأنه لا سلام عالميا ، دون سلام بين الأديان العالمية .

وهناك المستشرقة الألمانية المعروفة أنا مارى شيمل التى احتفلت سنة ١٩٩٧ ببلوغها سن الخامسة والسبعين ، وقال تلميذها المستشرق يوحنا كريستوف بيرجل إن عدد الكتب التى ألفتها قد فاق عدد سنوات عمرها . وقد وهبها الله فصاحة عجيبة ، حيث ترتجل الخطب بطريقة فريدة تذكرنا ببلاغة الحجاج ، أو زياد بن أبيه . وهناك وات ، أستاذ الدراسات الإسلامية المعروف ، وكلود كاهن ، الأستاذ الفرنسى فى جامعة السربون ، وكذلك المستشرق السويدى تور أندريا . كل هذه الأسماء ، وغيرها ، نريد أن يعرفها القارئ العربى ، وأن يُجادلها العلماء المسلمون . فالاحتكاك بالغرب لا مفر لنا منه ، والرد عليه ، والتأثير فيه ، والتأثر به ، وأخذ كل ما يقره العقل ، ولا يناقض الدين ، منه ، كل هذا ، لابد أن يحدث ، إذا أردنا أن نسترجع مكانتنا ، وموقعنا من الحضارة الإنسانية مرة أخرى .

١ـ تمهيد المؤلف

الشرق شرق والغرب غرب ، ولن يلتقيا (١)

كيبلينج ١٨٩٢

إننى مدرك تمام الإدراك أننى أعالج فى بحثى هذا موضوعا فى غاية الحساسية ، وأتعرض لإحدى المسائل الراهنة التى مازالت تثير فى الشرق والغرب على السواء ردود فعل واسعة النطاق . لقد ثارت النفوس ، وهاجت العواطف هنا وهناك ، بطريقة لم يسبق لها مثيل ، ولم يستطع أىّ من الطرفين أن يفهم الطرف الآخر . ذلك أنّ تعميمات خطيرة ، وآراء غير موضوعية ، وتخيلات تقليدية ثابتة ، مازالت تسيطر على الساحة .

فهناك اعتقاد فى الغرب المسيحى بأنّ ما حدث فى قضية سلمان رشدى ـ أى ردود فعلٍ العالم الإسلامى على نشر كتاب آيات شيطانية ـ يُمثل اعتداءً على حرية التعبير عن الرأى . بينما يسود اعتقاد فى الشرق الإسلامى بأنّ هناك مؤامرة كبرى ضد الإسلام . فالحوار بين الشرق الإسلامى والغرب المسيحى لايمكن أن يتم فى مثل هذه الظروف ، حيث يؤمن كلّ معسكر بصحة وجهة نظره المبنية على آراء غير موضوعية ، وأحكام متوارثة .

ما الذى حدث إذن ، فأدى بالأمور إلى وضع لا مكان فيه للموضوعية والنزاهة ، بل وأدى إلى ما يُمكننا وصفه بأنه انفجار لهستيريا جماهيرية حادة من كلا الجانبين ؟ دعونا نلخّص أهمّ ما حدث :

كاتب انجليزى ـ من أصل هندى ـ مسلم الديانة ، كتب رواية

تتضمن بعض الفقرات التى تهين كلّ مسلم ، وتجرحه فى صميمه . ذلك أنّ إهانة الرسول (ﷺ) والسخرية منه ، ومن أهل بيته ، يكون لهما نفس التأثير على الحس الدينى للمسلم مثل طعنة الخنجر المؤلمة . وكرد فعل لذلك خرجت المظاهرات الإسلامية مطالبة بمنع تداول الكتاب . ولكن الهدف الذى تظاهر المسلمون من أجله لم يتحقق ، حيث أُعيدت طباعة الكتاب ، على الرغم من ذلك ، وازداد المسلمون سخطا وغضبا . وفى النهاية توجهت أنظار المسلمين إلى علمائهم - بل وإلى الخمينى نفسه - ينشدون فتواهم .

لقد تم حظر تداول الكتاب فى الدول الإسلامية ، وأصدر الخمينى فتوى بإهدار دم سلمان رشدى ، لأقواله التجديفية (التجديف هو الكفر بالنعم Blasphemie) على الرسول (ﷺ) ، وبأنّ من يُقتل فى سبيل ذلك ، فقد مات شهيدا . وذهب الخمينى فى فتواه إلى أبعد من ذلك ، حيث أعلن أنّ أصحاب دور النشر الذين يكونون على دراية بمضمون رواية سلمان رشدى ، ويقومون على الرغم من ذلك بطبعها ، ونشرها ، هم آثمون ، تنطبق عليهم نفس الفتوى . لقد كان من الطبيعى جدا أن تقابل مثل هذه الفتوى بالرفض فى الغرب ، وأن تثير موجة شديدة من الاستياء . إلا أنّ هذا الاستياء الذى كان محدودا فى بدايته ، تطور إلى حملة حقيقية ضد الإسلام فى أوروبا . ولم تُفرّق هذه الحملة المعادية للإسلام بين آراء المسلمين المختلفة حول هذه القضية ، بل إنها راحت تستنكر كل ما هو إسلامى ، بلا تمييز ، ولا تفريق .

ومرة أخرى أثارت ردود الفعل الغربية استغرابا ودهشة فى العالم الإسلامى ، وشعر المسلمون بأنهم قد أهينوا فى حسهم الدينى ، وبأن الغرب لايفهمهم . وساد شعور عام لديهم بأن الغرب يتحصن وراء كتاب سلمان رشدى ، لكى يقود حملة صليبية فكرية جديدة ضد المسلمين . ذلك لأنّ أهل السنة فى الإسلام كانوا قد أعلنوا رفضهم التام لفتوى الزعيم الشيعى آية الله الخمينى . وظهرت فى صحف العالم الإسلامى ـ بصورة شبه يومية ـ مقالات كانت تفرق بوضوح بين استنكارها للكتاب ، ورفضها لفتوى الخمينى . بل أن عددا كبيرا من المثقفين والسياسيين المسلمين قد استغلوا هذه الفتوى لإظهار استنكارهم لسياسة الخمينى ، وعدم تضامنهم معه ، وتوجيه نقد شديد اللهجة إلى الحكومة الإيرانية .

بيد أن ردود فعل المسلمين من أهل السنة ـ الذين يمثلون نسبة ٩٣ فى المائة من مجموع المسلمين فى العالم ـ لم تُأخذ بعين الاعتبار ، أو روعيت ، ولكن ليس بصورة كافية . إن هذه الحقيقة بعينها ـ أى تجاهل الغرب لرأى ٩٣ فى المائة من المسلمين ، وتحول الإسلام إلى هدف لحملات وسائل الإعلام الغربية ـ تمثل أمراً مقلقا للغاية .

فأين نقف نحن الآن ؟

إن ما يحدث الآن هو تصادم بين حضارتين مختلفتين . وكلّ فريق يوجه اتهاماته إلى الفريق الآخر ، ويعتقد ، من خلال رد فعله ، بصحة رأيه المبنى أصلا على آراء متوارثة ، غير موضوعية . فالغرب يرى فى الإسلام «دينا ينتمى إلى العصور الوسطى» ، وأن المسلمين بسلوكهم هذا ينتهكون مبدأ حرية التعبير عن الرأى ،

ذلك المبدأ المقدس الذى يعتقد الأوروبيون أنهم لم يصلوا إليه ، إلا بعد كفاح طويل .

بينما يسود اعتقاد عام فى العالم الإسلامى بأن هناك مؤامرة ضد الإسلام ، وإحياء للعداوات العقائدية القديمة ، وبأن هناك نية لمواصلة الحروب الصليبية من جديد ، ولكن بأساليب أخرى . ومن الواضح أن جواً تسوده مثل هذه التوترات ، لايدع مجالا للموضوعية ، بل ويصير الحوار فيه مستحيلاً .

والواقع أننى أتساءل : هل كانت رواية سلمان رشدى حقاً هى سبب الاستياء ، وحملات التشويه المتبادلة - أى بين الغرب والعالم الإسلامى؟ أم أنها كانت مجرد متنفّس ، ومخرج لعداء كامن دفين ، وخوف مستتر متبادل بين الطرفين ؟

إذا أردنا أن نعالج هذه المسألة ، ونجيب على هذا السؤال ، سنجد أن كتاب سلمان رشدى نفسه قد أصبح غير ذات أهمية . فأنا شخصيا لم أقرأه ، إلا أن أهم الفقرات التى أهانت المسلمين إلى حدٍّ بعيد قد تم نشرها فى الجرائد بصورة كافية . وفى رأيى أنه لاينبغى منع ترجمة ونشر هذه الرواية ، حتى لايتم هذا - وبصورة أوسع - فى الخفاء . ولكى نفهم أسباب ردود الفعل الحادة المتبادلة ، علينا أولا أن نستعرض الخلفية التاريخية لردود الفعل هذه .

وقد اعتمدت فى بحثى هذا بصورة رئيسية على كتابات أساتذة الدراسات الإسلامية فى الغرب ، الذين يفترض المرء فيهم الإلمام التام بأمور العالم الإسلامى ، فضلا عن تمتعهم بالثقة الكاملة لمختلف الجهات المتخصصة .

٢ ـ الخلفية التاريخية لردود الفعل فى الغرب

لايمكن للمرء أن يتجاهل أن علاقة الغرب بالإسلام مثقّلة بتصورات مشوهة جدا ، وأحكام متأصلة ، غير موضوعية . وقد كتب عن ذلك أستاذ الدراسات الإسلامية الألمانى يوسف فان إس فى كتابه المشترك مع عالم اللاهوت السويسرى هانس كينج ، الصادر سنة ١٩٨٧ بعنوان : «المسيحية والأديان العالمية» ، حيث يقول :

«إن ما يسمعه المرء أو يقرأه عن الإسلام فى وسائل الإعلام الغربية ، والطريقة التى يتحدث بها المثقفون فى الغرب عموما عنه ، لهو شىء مزعج جداً . مزعج بمعنى مزدوج : أولا بسبب المعلومات غير الصحيحة ، والآراء الخاطئة التى تكشف عن نفسها من خلال حكم الأوروبيين على الإسلام . وثانيا بسبب النبرة الشيطانية المخيفة التى يتم بها عرض هذه الأحكام عن الإسلام»(٢) .

إن ردود الفعل الأوروبية لما يحدث فى العالم الإسلامى كثيرا ما تكون مصحوبة بالخوف ، والقلق ، والسلوك الدفاعى(٣) . ولا غرابة فى ذلك ، فأوروبا تجهل جيرانها الأقربين من الدول الإسلامية ، ولاتعرف إلا القليل عن دينهم وثقافتهم وتاريخهم . فالتبادل الثقافى النشط عبر القرون الطويلة ، والعلاقات الاقتصادية الوثيقة مع بلدان العالم الإسلامى ، كادت تدخل حيز النسيان(٤) . ولم يتبقّ إلا ذكريات عن النزاعات العسكرية ، وهجوم العرب ، وصورة الأتراك على أبواب فيينا ، أو صور سطحية من هذا القبيل ، كثيراً ما تختلط بشخصيات أبطال كارل ماى(*) .

لقد أشار العالم الألمانى فان إس إلى أن الإسلام ليس جزءا من الثقافة الغربية العامة ، وأنه لايُدرّس فى حصص التاريخ ، ولا فى حصص الدين . ذلك أن المدرسين نادرا ما يكونون مهيئين علميا لتدريس الإسلام ، هذا على الرغم من تزايد أعداد العمال الأجانب المسلمين (فى ألمانيا)[٥] .

إن الحاجة الماسة إلى المعلومات الضرورية عن الإسلام يتم تغطيتها - فى الحاضر والماضى على السواء - بتعميمات واستنتاجات متعجلة تنقصها الرزانة والتروى . وقد أشار عالم اللاهوت السويسرى كينج إلى أن الإسلام منذ نشأته - أى منذ ألف وأربعمائة سنة وحتى يومنا هذا - يمثل للمسيحية حقيقة مزعجة وخطيرة ومقلقة ، وأنه كان «ومازال يعتبر ظاهرة مخيفة ، على الرغم أو بالأصح بسبب الجوار الجغرافى»[٦] . وفى العصور التى كان فيها الإسلام مزدهرا ، وكان هناك اهتمام متزايد به ، كانت أوروبا تقابل هذا بالخوف والتشويه واتخاذ موقف دفاعى[٧] .

٣- حملات الطعن المسيحية التقليدية ضد الإسلام

إن الجذور الأصلية لما يجده المرء اليوم من تصورات خاطئة ومشوهة عن الإسلام فى أوروبا ، والتى لم يعد الأوروبيون يدركون أبعادها ، إلا أنها لاتزال كامنة فى وعيهم ، يمكن تتبعها من خلال الموقف السلبى للمسيحية تجاه الإسلام على مر التاريخ الثقافى العام للعالم المسيحى[٨] . وكما أثبتت وجهة النظر الحديثة المعالجة للتاريخ بأسلوب نقدى (على سبيل المثال : العالم الفنلندى المتخصص فى العهد الجديد[٩] H.Räisänen ، ونورمان دانيل ، وJ.W. Sweetman وغيرهم) ، فإن الكتابة عن الإسلام منذ

يوحنا الدمشقى (عاش من حوالى سنة ٧٠٠ حتى ٧٥٠م) ـ أى منذ القرن الثامن الميلادى وحتى أواخر القرن التاسع عشر قد اتسمت ـ وبلا استثناء تقريبا ـ بنبرة عدائية غير موضوعية(١٠) .

فالمسيحية قد رأت فى الإسلام دينا جديدا منافسا لها ، فقامت تهاجم ما اعتبرته انشقاقا زندقيا وهميا ، ناتجا عن خبث إنسانى ، وإيحاء شيطانى(١١) . وتركز هجوم المسيحيين ضد الإسلام على ما أسموه «التصوير الشهوانى للجنة فى القرآن»(*) . بل أنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك ، فاتهموا نبى الإسلام (ﷺ) بـ «الانحطاط الأخلاقى»(١٢) ، وأنه «قد ارتد عن المسيحية لأسباب فاسدة حقيرة»(١٣) .

لقد اعتبرت أوروبا المسيحية فى العصور الوسطى محمّدا (ﷺ) : «النبى الكاذب الذى أطلق العنان للشهوات الجسدية ، وبشر بالزندقة الآثمة ، وقضى على وحدة الكنيسة»(١٤) .

وبنفس هذا المعنى وصف مارتن لوثر (مؤسس الكنيسة البروتستانتية) تعاليم الإسلام على أنها «سموم شيطانية وأعمال جنونية» insania et Diaboli virus . وقال عن محمّد (ﷺ) نفسه إنه «صائد المومسات ، الدائر فى فلك الشيطان»(١٥) . نعم لقد أيّد لوثر فكرة ترجمة القرآن ، إلا أن هدفه من ذلك ـ كما يقول هانس كينج ـ لم يكن إلا : «لكى يرى الناس جميعا كيف أن هذا (= أى القرآن) كتاب ملعون فظيع ميئوس منه ، وإنه مملوء بالأكاذيب والخرافات ومختلف الفظاعات»(١٦) .

وقد كتب أستاذ العلوم الإسلامية الإنجليكانى(١٧) (= أى التابع للكنيسة الإنجليزية) وليم مونتجومرى وات ، فى الجزء الأول

من كتابه «الإسلام» (انظر الترجمة الألمانية ، شتوتجارت ١٩٨٠) يقول : إن الصورة المشوهة للإسلام فى أوروبا ، والموقف السلبى للأوروبيين عامة منه «قد ظهرا فى عصر الحروب الصليبية (أى فى الفترة الممتدة من القرن الحادى عشر حتى القرن الثالث عشر الميلادى) فى غرب أوروبا ، عندما كان المسلمون لايحكمون القدس فحسب ، بل كان لهم أيضا دولة قوية فى أسبانيا ، وكانوا يسيطرون على الساحل الجنوبى للبحر المتوسط»(١٨) . لقد تحول الإسلام إلى عدو مرهوب الجانب ، ومتفوق على المسيحية من الناحية الثقافية ، فكان لابد من محاربته بجميع الوسائل . ومن هنا ولكى يتم إقناع المسيحيين بصدق دينهم ، فقد زادت عملية تشويه الإسلام وتحريفه أكثر وأكثر(١٩) .

وقد لخص وات هذه الصورة المشوهة للإسلام فى أربع نقاط كما يلى :

١ ـ إن الإسلام دين كاذب ، وتحريف مقصود للحقائق .

٢ ـ إن الإسلام هو دين العنف والسيف .

٣ ـ إن الإسلام هو دين التهالك على الشهوات الجسدية .

٤ ـ إن محمّدا (ﷺ) قد اتبع الشيطان وسار فى فلكه ، وإنه هو المسيخ الدجال(٢٠) .

إن هذه النقاط الأربع ـ التى تعود بجذورها إلى العصور الوسطى ـ لاتبدو غريبة جدا علينا حتى فى عصرنا هذا . ويرى وات أن هذه الصورة المشوهة للإسلام قد استمرت عبر تلك السنين الطويلة ، لأنها هى تقريبا نفس الصورة التى رفضها المسيحيون لأنفسهم بوضوح . هذا على الرغم من أن هذه الصورة كانت إلى حد ما فى

حقيقة الأمر هى نفس الصورة التى يتمنونها لأنفسهم بطريقة غير شعورية ، بل ربما كانت هى نفس الصورة المعبرة عن واقعهم(٢١) .

ثم ظهرت فى عصرى التنوير (أى فى القرنين السابع عشر والثامن عشر) والرومانسية (أى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر) ـ ولأول مرة ـ مواقف فردية أكثر إيجابية من جانب الكُتّاب الغربيين تجاه الإسلام . بيد أن هذه المواقف لم يكن لها أثر يُذكر . فنجد على سبيل المثال الكاتب الاسكتلندى توماس كارليل (١٧٩٥ ـ ١٨٨١) الذى اعتبر محمدًا (ﷺ) ملهمًا عظيمًا ، ومحركًا لطاقات شعبه الكامنة(٢٢) .

٤ـ اتجاهان مختلفان

بدأت حركة الاستشراق منذ منتصف القرن التاسع عشر تعالج موضوعات علم الاستشراق من الناحية التاريخية ، فظهرت دراسات مصاغة بطريقة علمية مثل كتاب الويس شبرنجر : «حياة محمّد وعقيدته» ، وكذلك كتاب «تاريخ القرآن» لتيودر نولدكه ، والكثير غيرهما(٢٣) . وفى العصر الحديث برز اسم العالم الإنجليزى ـ السالف الذكر ـ مونجومرى وات بسبب إنجازاته العظيمة فى تطوير منهج البحث العلمى فى مجال السيرة النبوية ، حيث كتب «محمد فى مكة» (اكسفورد ١٩٥٣) ، و«محمد فى المدينة» (اكسفورد ١٩٥٦) ، و«محمد : نبى ورجل دولة» (لندن ١٩٦١) . وقد أكد وات بوضوح أنه لايمكن للمرء أن يحكم على رسول الإسلام (ﷺ) بالمقاييس الأخلاقية للإنجيل ، بل يجب النظر إليه كإنسان عاش فى شبه جزيرة العرب فى القرن السابع الميلادى(٢٤) .

٥ـ اتجاه علمي جديد

كانت إحدى ثمار الدراسات الاستشراقية الحديثة ـ التى تتسم بالأسلوب النقدى ـ توضيح بعض الأمور التى أصبحت فى الغرب أيضا من القضايا التى لا مجال للشك فيها . فصار هناك اقتناع بصدق محمّد (ﷺ) المطلق فى إيمانه ، وأنه كان على صلة روحية بالذات الإلهية ، وأن الله قد اصطفاه من بين عباده ليُنزل عليه الوحى باللسان العربى ، وأنه كان خاتم النبيين . كذلك فقد اعترف المستشرقون بأن الرسول الحنيف (ﷺ) الموحى إليه فى مكة قد أصبح مؤسس دولة فى المدينة ، وكان ذلك يمثل إحدى المراحل الطبيعية لتطور الدعوة الإسلامية(٢٥) .

ويقول المستشرق الفرنسى كلود كاهن ـ الأستاذ بجامعة السربون : «... **لايليق بالمؤرخ المنصف أن يعير اهتمامه للاتهامات التي صدرت عن المهاترات الطائفية القديمة... بل أنه يبدو لهذا المؤرخ المنصف أن محمدا (ﷺ) كان في عداد الشخصيات النبيلة السامية التي سعت في كثير من الحماس والإخلاص إلى النهوض بالبيئة التى عاش فيها أخلاقيا وفكريا** » اهـ(٢٦) . ويستطرد العالم الفرنسى قائلا : « **وربما أثارت فينا بعض جوانب حياته شيئا من الارتباك تبعا لعقليتنا المعاصرة. فقد أكدت المهاترات على شهوات الرسول الدنيوية وألحت إلى زوجاته التسع اللائى اتخذهن بعد وفاة خديجة. لكن الثابت أن معظم هذه الصلات الزوجية قد طبعت بطابع سياسي، وأنها استهدفت الحصول على ولاء بعض الأشراف أو بعض الأفخاذ. ثم إن العقلية العربية تقر الإنسان إذا استخدم طبيعته على نحو ما خلقه الله** »(٢٧) .

ويؤكد وات أن جهود المستشرقين وإنجازاتهم فى حقل الدراسات الإسلامية سوف تستمر فى عصرنا هذا وفى المستقبل أيضا ، بيد أن العلوم الإسلامية قد صارت ميدانا مشتركا للأبحاث يساهم فيه العلماء المسلمون وغير المسلمين على السواء .

لقد حدث تغيّر فى وجهات النظر عند معظم المستشرقين ، وتوجد الآن رغبة قوية فى إقامة حوار مشترك يتم فيه تبادل وجهات النظر بين المسيحية والإسلام فى جو يسوده الود والموضوعية(٢٨) .

وعلى الرغم من ذلك فيبدو أن الغربيين - الذين نشأوا فى مجتمعات علمانية مادية - يجدون صعوبة بالغة فى تفهم العقيدة الإسلامية . ولذلك فليس مستغربا أن أفضل دراسات الغربيين عن الإسلام وأكثرها موضوعية قد كتبها مسيحيون متدينون . فيبدو أن المتدينين من الناس لايجدون صعوبة فى تفهم الديانات الأخرى ، بل ويشعرون بنوع من القرابة تجاه أصحاب هذه الديانات الذين يعبدون إلهًا واحدًا مثلهم .

وهكذا نجد أنفسنا أمام تناقض غريب : فمن ناحية هناك الصورة المشوهة للإسلام ، الناتجة عن مطاعن الأوروبيين ضد الإسلام فى العصور الوسطى ، والتى تختفى وراءها مواقف الغرب العدائية تجاه الإسلام ، ويظهر ذلك بوضوح فى الأبحاث العلمية والكتب الشعبية وكذلك فى وسائل الإعلام . ومن ناحية أخرى نجد أن المسيحيين المتدينين بالذات هم أكثر من يستطيع أن يتفهم الإسلام ، ويتخذ موقفا إيجابيا منه(٢٩) .

كذلك فقد تخلت الكنيسة الكاثوليكية عن موقفها العدائى تجاه

الإسلام ، ولم تعد حريصة على إبراز خلافاتها مع الإسلام على الدوام . بل أنها نادت بإبداء تفهم صادق للإسلام وإدراك معانيه . وبالإعلان الدينى ـ وهو البيان المتعلق بالأديان غير المسيحية ـ الصادر عن المجمع الفاتيكانى الثانى سنة ١٩٦٥ ، بدأت الكنيسة الكاثوليكية «عهدا تاريخيا جديدا»(٣٠) على حد تعبير هانس كينج . وقد فتحت هذه السياسة الكنسية الجديدة الباب أمام لقاءات إسلامية ـ مسيحية مثمرة على المستوى الرسمى وغير الرسمى .

٦ـ استمرار حملات الطعن ضد الإسلام

ولكن الأسلوب الموضوعى الذى اتسمت به حركة الاستشراق الحديثة لم يؤدِّ إلى تصحيح كلى للصورة المشوهة للإسلام لدى الغربيين(٣١) . فلا شك أن الاستشراق الحديث قد أدار ظهره لحملات الطعن التقليدية ضد الإسلام ، كما أنه قام بفحص وتفنيد دقيقين لهذه المطاعن . غير أن هذا التحول الجوهرى فى حركة الاستشراق لم يُأخذ فى العالم الإسلامى بعين الاعتبار إلا من قبل المراكز العلمية المتخصصة ، دون أن يصل إلى الوعى العام لغير المتخصصين من المسلمين .

ولذلك فإن المسلمين اليوم فى وضع لايمكنهم معه أن يتقبلوا الأحداث الجارية دون غضب وانفعال . ذلك أن كل ما يرونه من حولهم يؤكد لهم صحة رأيهم بأن حملات الطعن والتشكيك المسيحية ضد الإسلام لم تتوقف منذ العصور الوسطى وحتى اليوم ، وأن الغرب لم يكف عن الافتراء على الإسلام وتشويه سمعته .

ومن المؤسف له حقا أن يرى المرء المقالات المهاجمة للإسلام(٣٢) تنشر فى الغرب بصورة مستمرة وخاصة فى الجرائد اليومية والمطبوعات الشعبية . وتثير هذه المقالات انطباعا لدى قارئها بأن كاتبيها يتبعون المنهج العلمى فى كتاباتهم ، وبأنهم على درجة كبيرة من العلم والدراية بعلوم الإسلام . بيد أن الواقع يقول أن مؤلفى هذه المقالات لم يفعلوا شيئا أكثر من استعمال بعض المصطلحات المستخدمة فى العلوم الإسلامية دون أن يفهموا معانيها ، أو فهموها ولكن بصورة خاطئة . وبغض النظر عن أنهم يجرحون شعور المسلمين بسلوكهم هذا ، فإن مثل هذه المقالات تؤدى إلى تقوية وجهات النظر التقليدية عن الإسلام ، وتحول دون فهم صحيح للإسلام من جانب الغربيين .

٧ـ الصورة السيئة للعرب فى الولايات المتحدة الأمريكية

ولابد لنا فى هذا السياق أن نشير أيضا إلى الصورة السيئة للعرب فى الولايات المتحدة الأمريكية . لقد وصلت الأمور إلى الحد الذى نجد عنده مرجعا علميا ذا مستوى رفيع مثل القاموس المعروف "Merriam-Webster-Thesaurus" يذكر الكلمات التالية كمرادفات للفظ «عربى» : «(العربى هو) إنسان متشرد ، صايع ، عاطل ، لا هدف له» . ولكن أيضا : «بائع متجول ، مساوم ، نصّاب ، تاجر لا ضمير له» .

وعندما طلب عرب أمريكا ـ فى بداية الثمانينات من هذا القرن ـ من ناشرى قاموس "Merriam-Webster-Thesaurus" أن يحذفوا هذه الأوصاف العنصرية ـ مثلما فعلوا هذا من قبل مع اليهود ـ رفض ناشرو القاموس أن يفعلوا نفس الشىء مع العرب .

ولايختلف الأمر فى مجال النكت . فكما أثبتت أحدث الدراسات التى قامت بها جامعة كاليفورنيا فى Berkeley ، فإن النكت المتداولة بين الأمريكيين عن العرب يسيطر عليها موضوعات معينة مثل : الغباء والجبن والقذارة والفظاعة .

كذلك فإن من الأشياء المقلقة والمثيرة للريبة فى آن واحد ظهور صورة سلبية ومشوهة للعرب فى الأفلام ومسلسلات التليفزيون والكتب والمجلات الهزلية المصورة . ونذكر هنا على سبيل المثال مسلسلات القصص الهزلية المصورة "Comic strips" وهى مسلسلات تنشر فى الصحف اليومية وتتكون من مجموعة رسومات متتالية ذات معنى فكاهى أو مرتبط بالمغامرات . فيظهر مثلا فى مسلسل "Little Orphan Annie" مواطن عربى ، ذو أنف أعقف (معوج) وملامح شريرة ، اسمه "Bad Simmel" (Bad = سيىء ، شرير) ـ حيث يقوم باختطاف "Annie" ويرفض إطلاق سراحها إلا فى مقابل حصوله على فدية فى صورة معلومات سرية عن الطاقة .

وحتى فيلم «لورانس العرب» فقد ارتكبت فيه أخطاء تاريخية مهينة حيث يقدم الفيلم العرب فى صورة قوم عاجزين ومنقسمين على أنفسهم بسبب النزاعات القبلية . ويوضح الفيلم كذلك عدم مقدرة العرب على إدارة مدينة دمشق ، وأنهم انسلوا منسحبين سرا منها بعد يومين ، تاركين أمر إدارتها للإنجليز .

بيد أن الحقائق التاريخية تقول إن العرب قد حكموا دمشق لمدة سنتين (وليس يومين فقط) تحت قيادة الملك فيصل ، وذلك قبل أن ينسحبوا من المدينة أمام الجيش الفرنسى (وليس الإنجليزى) .

وكما أثبتت الدراسات فإن جذور الصورة السلبية للعرب فى الولايات المتحدة تعود فى معظمها إلى حملات الطعن المسيحية ضد الإسلام فى أوروبا على مر التاريخ . وصارت الصورة السلبية للعرب مرتبطة بالتصورات المشوهة والخاطئة عن الإسلام . ويجد المرء هذا الموقف السلبى تجاه الإسلام والعرب فى القصص الهزلية وأغانى البوب والمسلسلات التليفزيونية ، وبقية وسائل الإعلام الأمريكية ، ثم تدور العجلة دائرتها ، فتحمل وسائل الإعلام الأمريكية هذا الاتجاه العدائى ضد العرب والإسلام مرة أخرى إلى أوروبا ، مما يؤدى إلى تعميق الأحكام الخاطئة ، وتأصيل التصورات السلبية التقليدية عن الإسلام .

٨ـ العامل الثقافي والنفسي

لكن يبدو أن حملات الطعن التقليدية ضد الإسلام ونتائجها السلبية ليست هى السبب الوحيد المسئول عن الصورة المشوهة للإسلام فى الغرب . إذ أن هناك سببا آخر أكثر عمقا من الأول يراه المستشرق السويدى المعروف تور أندريا (١٨٨٥ ـ ١٩٤٧ ـ الذى كان أيضا أسقف مدينة "Uppsala" حيث يقول :

«لايكفى أن نشير إلى الجهل (بالإسلام) ، أو إلى المفاهيم العقائدية القديمة والخاطئة ضد النبى الكاذب . ولايكفى أيضا أن نشير إلى الكراهية السياسية للكلب التركى (Turkenhund) . إن السبب (أى سبب هذه الصورة السيئة للعرب والإسلام فى الغرب ، وكراهية الغربيين لكل ما له علاقة بهما) أعمق من ذلك بكثير ، وربما تكون الجملة الآتية هى أصح تعبير عنه : إن الأقارب أقل الناس فهما بعضهم بعضا»(٣٣) .

ويمكننا أن نلخص شرحه لهذه الفقرة كما يلي : يجد المسيحى فى الإسلام تصورات عقائدية وأفكارا دينية تذكره بدينه . إلا أن هذه التصورات والأفكار تقابله بطريقة لم يألفها وأسلوب لم يعهده من قبل . فهو لايجد فى الإسلام شيئا غريبا أو جديدا عليه كل الجدة - مثلما هو الحال ، على سبيل المثال ، مع أديان الهند والصين ، ولذلك فهو لايكلف نفسه أى عناء لفهم هذا الدين القريب فى جوهره من الدين المسيحى .

ثم إن هناك عاملا آخر يكمن فى طبيعة البشر ، ويقف حائلا دون فهم الناس بعضهم بعضا . ففى رأيى أن الأوروبيين كثيرا ما يحاولون تحليل مظاهر الحضارات الأخرى تحليلا نقديا من خلال قيمهم وأساليب تفكيرهم الخاصة بهم . والسؤال هنا هو : هل يمكن للمرء أن ينقل بهذه السهولة ألفاظا وتعبيرات - نشأت على مر التاريخ فى المجتمعات الأوروبية - هكذا بلا ترو إلى ثقافات أخرى لها ما يحكمها من قوانين مختلفة ومقاييس متباينة؟ فلا يمكننا على سبيل المثال أن نستخدم لفظى : «الديمقراطية» ونظرية الطبقات الاجتماعية»(٣٤) لوصف نظام المجتمع الإسلامى ، لأن هذين اللفظين قد نشأ وتطورا نتيجة لظروف سياسية وتطورات اجتماعية معينة حدثت فى أوروبا ، وبذلك يصعب تطبيقهما على النظام الاجتماعى الإسلامى الذى يختلف جوهريا عن النظم الاجتماعية الأوروبية . وينبغى أن نشير فى هذا السياق إلى أن بعض الألفاظ المستخدمة فى ثقافتين مختلفتين كثيرا ما يكون لها فى كل ثقافة مدلول مختلف تماما عن مدلولها فى الثقافة الأخرى . ذلك أن استعارة لفظ ما من حضارة معينة لها أسلوب التفكير الخاص بها غالبا ما يعنى انتزاع مشكلة ما من محيطها

والظروف التى نشأت فيها ، ثم إقحامها فى مضمون آخر تحكمه علاقات داخلية متباينة . وعند استخدام هذه الألفاظ المستعارة بعد ذلك ، يعتقد مستخدموها ـ سواء كانوا أوروبيين أو عربا ـ أنهم يقصدون نفس الشىء ، غير أن الواقع يقول إن كل طرف يقصد شيئا مختلفا عما يقصده الطرف الآخر .

٩ ـ خلفيات ردود الفعل فى العالم الإسلامى

أشرنا حتى الآن إلى الخلفية التاريخية التى لعبت دورا هاما فى صياغة الرأى العام الأوروبى بطريقة لا شعورية . ولنستعرض الآن خلفية الموقف العام فى العالم الإسلامى . وعلينا قبل ذلك أن نعالج الوضع الراهن للمسلمين ، وخاصة فيما يتعلق باحتكاكهم بالغرب منذ القرن التاسع عشر . ذلك أن قضية سلمان رشدى ـ وما تبعها من أحداث ـ لم تكن المرة الأولى التى حدث فيها احتكاك بين العالم الإسلامى والغرب . فقد سبق أن تعرض الإسلام ـ فى عصر ازدهار الحضارة الإسلامية وخاصة فى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين ، فى عصر الخليفة هارون الرشيد (٧٨٦ ـ ٨٠٩م) ومَن خَلفَه من حكام الدولة العباسية ـ لتغلغل الفكر الأجنبى من خلال أفكار وآراء واردة من أوروبا المسيحية .

بيد أن الإسلام كان قويا فى ذلك الوقت ، ولم تكن تحكمه تقاليد جامدة فى تلك العصور ، فواجه المسلمون هذه التيارات الأجنبية بالدراسة والتحليل ، واستطاعوا أن يقتبسوا من هذه التيارات الأجنبية ما لا يتعارض مع دينهم . وحدث بذلك نوع من امتزاج الثقافات ، إلا أن الإسلام ظل هو لب هذه الثقافات وجوهرها ، فأعطاها طابعا واحدا ، وصار هو المحور الرئيسى الذى يدور حوله كل ما اقتبسه المسلمون من أنظمة أجنبية وأفكار أعجمية .

ثم إن الإسلام بدأ تدريجيا يفقد قوة استيعابه للثقافات الأجنبية ، ومقدرته على التكيف الحضارى معها . هذا فضلا عن فقدانه لمركزه السياسى القوى ، حتى فقد كل مظاهر القوة هذه كلية . ويمكن أن نحدد بشيء من الدقة الوقت الذى أدرك المسلمون فيه مظاهر تدهورهم الحضارى ، ووهنهم الفكرى بنزول نابليون أرض مصر سنة ١٧٩٨م . فمنذ ذلك التاريخ وصاعدا كان على المسلمين أن يعوا تماما أنهم قد أصبحوا فى وضع لايستطيعون معه أن يمنعوا الشعوب غير المسلمة من التغلغل فى أرض الإسلام .

وهكذا احتلت فرنسا الجزائر ، وفرضت حمايتها على تونس والمغرب ، وقامت روسيا القيصرية تدريجيا بضم المناطق الإسلامية فى القوقاز وآسيا الوسطى . وفى القرن الثامن عشر كانت إنجلترا قد تمكنت من القضاء على مملكة المغول الإسلامية القوية فى الهند (١٥٢٦ - ١٧٢٧م) ، واحتلت مصر بعد ذلك سنة ١٨٨٢م . وأخيرا احتلت إيطاليا ليبيا سنة ١٩١٢م . نعم كان هناك كل من إيران والإمبراطورية العثمانية كدولتين إسلاميتين لهما شأنهما . إلا أن حتى هاتين الدولتين قد تعرضتا بصورة مستمرة لهجمات القوى الأوروبية التى قامت قبل الحرب العالمية الأولى بتقسيم الإمبراطورية العثمانية إلى مناطق نفوذ حتى تضمن لنفسها التفوق الاقتصادى والسياسى .

ولم يكن التفوق العسكرى للغرب هو وحده المسئول عن إثارة شعور بالضعف والتبعية لدى المسلمين ، فقد قوى هذا الإحساس عندما وجد المسلمون أنفسهم مجبرين على التسليم والاعتراف لأوروبا بتفوقها عليهم فى المجالات العلمية والصناعية والاقتصادية

والسياسية . وأمسى وضع الإسلام فى القرنين التاسع عشر والعشرين كمايلى : لم تعد الثقافة الإسلامية هى الثقافة الملقحة والمؤثرة فى العالم الغربى ، بل صار الوضع معكوسا . فأصبح العالم الإسلامى واقعا تحت تأثير الحضارة الغربية الحديثة ، بل ومستسلما لها تماما .

إن ما حدث كان نوعا من تغلغل الفكر الأجنبى وسيطرة الثقافة الدخيلة على الإسلام ووصلت هذه التيارات الواردة من الغرب إلى القيادات الفكرية ، والدوائر ذات الاهتمامات السياسية فى العالم الإسلامى . وتعتبر هذه الثقافة الدخيلة على الإسلام ، والمتمثلة فى الأفكار الأوروبية والنظم الغربية فى غاية الخطورة لأنها تهاجم الأسس التى يقوم عليها نظام المجتمع فى الإسلام (على سبيل المثال : تطبيق النظم العلمانية الدنيوية فى الجمهورية التركية) .

ولم يعد لدى المسلمين القوة الكافية ليحيوا حياة يسيرون فيها على درب مثلهم الأعلى المتمثل فى الأمة الإسلامية فى عصر انتصاراتها وازدهار حضارتها . كما أنهم أضحوا غير قادرين على تنظيم شئون حياتهم على أساس قوانين الشريعة الإسلامية . وبدت القوى الخلاقة للثقافة الإسلامية وكأنها قد انقطعت عن جذورها الأولى .

١٠ـ العودة إلى القيم الإسلامية

كان الاحتكاك بأوروبا مخيبا لآمال المسلمين ، بل أنه صار مرتبطا بالإحساس بالخضوع والمهانة . ونتج عن ذلك أن المسلمين أصبحوا ينظرون إلى واقعهم ومستقبلهم نظرة أقل تفاؤلا عما سبق . وهكذا بدأ المسلمون يعاودون التأمل فى الثقافة والقيم

الإسلامية ، وأدركوا أنهم قد ذهبوا أكثر مما يجب فى ارتباطهم بالشرق والغرب ، وتذكروا أن الإسلام قد سبق له أن كان حامل راية العلم والثقافة فى الماضى .

ونظرا لأن المجتمع الإسلامى لم يسبق له أن فقد صلته بجذوره فى أى عصر مضى(٣٥) ، فقد كان من الطبيعى جدا أن تُطرح فكرة إعادة دراسة الماضى والتأمل فى التراث . ويهمنا أن نوضح فى ذلك السياق أن دراسة تاريخ الحضارة الإسلامية ، وتأمل العوامل التى أدت إلى ازدهارها ، لايمكن اعتباره بأى حال من الأحوال هروبا من الحاضر .

ذلك أنه لاينبغى أن ننسى أن الشرق الإسلامى لم يسبق له أن فصل بين الدين والسياسة ، بمعنى أنه لم يمر بتجربة علمنة الفكر ، مثلما فعلت أوروبا فى عصر النهضة ومن خلال حركة الفلسفة الإنسانية التى تؤكد على قيم الإنسان وقدرته على تحقيق ذاته عن طريق العقل دون الرجوع إلى الدين(٣٦) . والمسلمون - كما ذكرنا أعلاه - لم يسبق لهم أن قطعوا صلتهم بجذورهم الأصلية على الإطلاق. فمنذ فجر الإسلام وحتى يومنا هذا يمثل الإسلام محور الدائرة لحياة المسلمين السياسية والاجتماعية والأخلاقية والفكرية. غير أن الأوروبيين يجدون صعوبة بالغة فى فهم هذا التغلغل الطبيعى للإسلام فى حياة المسلمين، وشموله لجميع جوانب حياتهم. وكما يقول هانس كينج فالأوروبيون ينظرون إلى الدين باعتباره عاملا قائما بذاته ضمن عوامل ثقافية أخرى فى الحياة. وعلى العكس من ذلك فإن المسلمين حتى عصرنا هذا يعتبرون الدين والحياة والثقافة نسيجا واحدا متشابك الأجزاء.

فالإسلام هو نظرة شاملة للحياة، وهو نظام معيشة يتضمن كل شيء، وهو أسلوب في الحياة ذو معالم واضحة وحدود ثابتة، وأخيرا فهو «طريق الخلاص»(٣٧). وإذا كان هناك اليوم مطالبة من جانب بعض الحركات الإسلامية بالعودة إلى الإسلام كما كان في عصره الأول، فلا يمكن أن نعتبر ذلك أيديولوجية جديدة أو دعوة إلى العودة إلى الوراء، كما يحلو لوسائل الإعلام الغربية أن تصور هذا. فهذه الفكرة كانت دائمة الحضور على مدى تاريخ الإسلام برمته. فالدعوة إلى الإسلام الأصلي والعقيدة القويمة كانت تنشط دائما كلما ظهرت عادات أجنبية وأفكار دخيلة على الإسلام تهدده في كيانه.

وحتى المطالبة بالتطبيق الشامل للشريعة الإسلامية والتي يكثر ترديدها هذه الأيام لا تعني أخذ نظم قانونية من القرن السابع الميلادي وتطبيقها حرفيا على مجتمع القرن العشرين، بل تعني وضع تشريعات وقوانين للعصر الحديث. بظروفه ومتطلباته. من خلال نفس الأسس والمبادئ التي قام عليها التشريع في صدر الإسلام.

إن عصر التطبيق المثالي لقواعد الإسلام لم يغب لحظة واحدة عن وعي المسلمين، فضلا عن تأثيره الجلي في جهود الإصلاح الإسلامية المعاصرة. وتسير هذه الجهود والقوى المحركة للعالم الإسلامي في العصر الحاضر في اتجاهين مختلفين: الاتجاه الأول ويمثل التحرر الداخلي، والثاني ويشمل التحرر الخارجي. أما التحرر الداخلي فيهدف إلى إصلاح الإسلام من الداخل، بمعنى تطهيره من كل ما دنسه من شوائب وجهالات، ثم يجتهد الفقهاء المسلمون في إصدار الفتاوى الكفيلة بالتوفيق بين روح الدين ومتطلبات العصر. أما التحرر الخارجي فيعني السعي إلى التحرر من السيطرة الأجنبية

المتمثلة أيضا فى التبعية الثقافية، فضلا عن العودة إلى الذات فى صورتها الأصلية.

ولاتهدف هذه الجهود الإصلاحية إلى الانكماش على النفس، ولكن تعنى الوصول ـ فى جو من الحرية ومن خلال القوة الذاتية للإسلام ـ إلى تفاعل صحى بين القيم الروحية والثقافية للإسلام من ناحية والتقدم الغربى فى مجال العلم والتكنولوجيا من ناحية أخرى.

١١ـ حب المسلمين للرسول ومكانته الخاصة عندهم

إن معاودة التفكير فى القيم الإسلامية ، ودراسة ما خلفه المسلمون وراءهم من تراث ضخم ، يرتبطان ارتباطا وثيقا بمكانة الرسول (ﷺ) الخاصة عند المسلمين . فالمسلمون ينظرون إلى رسولهم (ﷺ) باعتباره مبلغا الرسالة الإلهية الخالدة ، وأنه «خاتم أنبياء الله تعالى» . وتختلف مكانة محمد (ﷺ) فى الإسلام اختلافا كليا عن مكانة المسيح فى المسيحية . نعم أن محمدا (ﷺ) هو مؤسس الدين الإسلامى ، بمعنى أنه قد تلقى «كلام الله متمثلا فى القرآن الكريم» ، إلا أنه «مجرد إنسان خصه الله بنعمة الوحى»[٣٨] . فالمسلمون لاينظرون إلى رسولهم (ﷺ) باعتباره ذاتا إلهية على الإطلاق ، ولكن باعتباره تجسيدا للتوازن الكامل لجميع القوى الإنسانية . وتمثل حياة الرسول (ﷺ) وأعماله وأقواله قدوة حسنة للمسلمين يحذون حذوها . كما أن اتباع سنته كان ومازال غاية كل مسلم صالح[٣٩] . ويقتدى المسلمون من حدود أندونيسيا شرقا حتى غرب أفريقيا غربا بمثلهم الأعلى وقدوتهم الحسنة المتمثلة فى شخص الرسول (ﷺ) كما تصوره الأحاديث النبوية الشريفة . وقد أدى ذلك إلى خلق جو

مشترك فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، فضلا عن توحيد المقاييس الاجتماعية وقواعد السلوك لدى المسلمين بطريقة تثير الدهشة والعجب(٤٠) .

وتمثل السنة النبوية الشريفة ـ بجانب القرآن الكريم ـ العروة الوثقى والقوة الكبرى المشكلة لسلوك حوالى مليار مسلم ، هم تعداد المسلمين اليوم فى جميع أنحاء العالم(٤١) . وبجانب توقير المسلمين لرسولهم (ﷺ) وحبهم إياه ، فهناك أيضا الآية القرآنية الكريمة التى تقول : ﴿ إنَّ اللَّه وملائكته يُصلُّون على النَّبيّ يا أيُّها الَّذين آمنُوا صلُّوا عليْه وسلِّمُوا تسْليما (٥٦) ﴾ [الأحزاب : ٥٦] فالمؤمنون هنا ينهجون نهج الله وملائكته ، حتى صارت عبارة : « ﷺ » أهم دعاء إسلامى يردده المسلمون ملايين المرات كل يوم . وبهذا يبقى رسول الله (ﷺ) دائم القرب من المؤمن الذى تحكم تصرفاته وسلوكه حبه لرسول الله (ﷺ) وثقته به . وصفوة القول أن شخص الرسول (ﷺ) يمثل محور الحياة الدينية عند المسلمين .

وإذا كان الأمر كذلك ، فإنه من الطبيعى جدا أن يحظى أهل البيت بشىء من الإجلال والاحترام(٤٢) . وقد تراكم على مر التاريخ عدد لا بأس به من القصص والأساطير التى تدور حول شخص الرسول (ﷺ) وآله(*) . ونظم المسلمون بجميع اللغات التى يتكلمونها أعدادا لا حصر لها من الأناشيد والقصائد التى يمتدحون فيها إنسانية رسول الله (ﷺ) ويصفونه فيها بالرحمة والشفقة(٤٣) . ويصل توقير المسلمين لرسولهم (ﷺ) وإجلالهم إياه فى هذه القصائد والأناشيد حدا لايمكن وصفه أو تخيله(٤٤) .

وعلى الرغم من ذلك فلا ينبغى أن نتغافل فى هذا السياق حقيقة هامة ، ألا وهى أن المسلمين يوقرون محمدا (ﷺ) ويجلونه ، ولكن على أساس أنه «عبد الله» - وهذا يعنى أن الإنسان الكامل هو فى نفس الوقت أخلص عباد الله(٤٥) . ويتساوى فى حب رسول الله (ﷺ) الغنى والفقير ، المثقف والأمى . فهم جميعا يرون فيه قدوتهم الحسنة التى يهتدون بها ، ومصدر إلهامهم الحى(٤٦) .

وتظهر مكانة الرسول (ﷺ) جلية واضحة فى الشهادة التى تقول كلماتها : «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله» ، فهذه الشهادة تميز المسلم عن كل أصحاب الديانات الأخرى ، وتمثل الدعامة الأولى للإسلام كنظام شامل للحياة . وهى أيضا الركن الأساسى للإسلام كدين له نظام متميز ونظرة متكاملة للحياة(٤٧) .

ذلك أن تكليف الرسول (ﷺ) لم يكن مقصورا على إبلاغ القوانين الإلهية فحسب ، بل شمل أيضا قواعد الحياة اليومية(٤٨) . فكل هذه القواعد منصوص عليها بوضوح فى الشريعة الإسلامية (الشريعة هى الطريق البين الذى ينبغى اتباعه) . وتجيب الشريعة بطريقة ملزمة ودقيقة على جميع أسئلة المسلم الخاصة بالسلوك الصحيح تجاه البارى ، وكذلك تجاه أفراد المجتمع(٤٩) . وهكذا فهى تنظم كل مجالات الحياة : الدينية والشخصية ، وكل ما يخص القوانين المدنية والتجارية إلخ .

لقد حقق الإسلام بذلك نظام حياة ترتبط فيه قواعد الدين بأصول المعاملات الدنيوية بطريقة لايمكن الفصل بينهما(٥٠) .

فما يميز الشريعة الإسلامية عن النظم القانونية الأخرى هو كونها ذات مصادر إلهية ، وبالتالى فهى شريعة مقدسة لايمكن المساس بأصولها . فأساس الشريعة الإسلامية إلهى متمثل فى كلام الله تعالى المنزل ، وليس مثل القوانين الوضعية الأخرى القائمة على العمل التشريعى للحكومات(٥١) . ولأنها تمثل على وجه الإجمال نظام حياة يشمل العبادات والأخلاق والمعاملات ، فإنه من الطبيعى أن يكون الدور الذى تلعبه فى حياة المسلمين أكثر شمولا من الدور الذى يلعبه القانون الكنسى فى المسيحية على سبيل المثال ، أو القوانين المدنية والجنائية والتجارية المعمول بها فى المجتمعات الغربية(٥٢) .

والمصدر الأساسى للشريعة الإسلامية هو القرآن الكريم الذى يضم بين دفتيه كل ما أوحى به الله إلى رسوله (ﷺ) على مدى ثلاثة وعشرين عاما ، مكلفا إياه بتبليغه والتبشير به . والقرآن بالنسبة للمسلمين هو كلام الله المنزل الذى ظل محفوظا كما هو فى اللوح المحفوظ حتى يومنا هذا : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) ﴾ [الحجر : ٩] والقرآن هو أصل القوة التشريعية المطلقة فى الإسلام(٥٣) . غير أن القواعد التشريعية التى تنص عليها الآيات القرآنية تمثل أسسا ذات طبيعة عامة فى معظمها ، وهى فى الغالب محدودة بحيث لاتكفى لتكوين قانون شامل(٥٤) . وتأتى سنة رسول الله (ﷺ) كمصدر مكمل ومبين للأحكام القرآنية . والسنة النبوية الشريفة تعنى قدوة المسلمين الحسنة المتمثلة فى رسول الله (ﷺ) وسلوكه فى الحياة كما تبينه أقواله وأفعاله وعاداته ، وكذلك كل ما قرره من قول أو فعل تم فى

حضوره (التقرير هنا يعنى الموافقة على الشىء عن طريق الإمساك عن الكلام كعلامة على التقرير والقبول) . ولا تمثل المكانة المثالية الحية لمحمد (ﷺ) قاعدة أساسية للسلوك الاجتماعى والدينى والأخلاقى للمسلمين ، وكذلك لفهم الفرائض الدينية فهما صحيحا ، فحسب ، بل أيضا لحل كل ما يجدُّ من مشاكل اجتماعية وعقائدية(٥٥) .

ولما كانت سنة رسول الله (ﷺ) تمثل المصدر الرئيسى للشريعة الإسلامية ـ بعد القرآن الكريم ـ فإن تجريح رسول الله (ﷺ) يعنى فى نفس الوقت تجريحا وقذفا للشريعة الإسلامية . ويرى المسلم فى ذلك مساسا بالقواعد التى يقوم عليها دينه ، ويشعر بالإهانة والتجريح ، وبأنه مهدد فى صميم ذاته . وفى بداية الثلاثينات من هذا القرن وقع حادث أثبت أن شخص الرسول (ﷺ) فوق كل تدنيس أو إساءة . فقد كتب مؤلف هندى كتابا هاجم فيه محمدا (ﷺ) بعنوان : «الرسول العاشق للذة» ، وكان عليه أن يدفع ثمن ذلك غاليا ، حيث قام صبيان مسلمان سنهما ستة عشر وتسعة عشر عاما بقتله . وعلى الرغم من أن هذين الصبيين قد دفعا حياتهما جزاءً لهذا العمل ، إلا أن سلوكهما هذا قد أكسبهما عطف الكثير من المسلمين وجعلهم يدعون لهما بالمغفرة والرحمة(٥٦) .

ومن الصعب على غير المسلم أن يفهم إجلال المسلمين الكبير لرسولهم (ﷺ) وتوقيرهم إياه باعتباره أكمل إنسان على وجه الأرض . ذلك أن الأوروبى الذى تربى تربية مسيحية يجد صعوبة بالغة فى التحرر من الأفكار التى طالما لاقت رواجا على مر القرون

الطويلة بأن محمدا (ﷺ) كان نبيا كاذبا ومخادعا ومُحبّاً للشهوات وداهية سياسيا(٥٧) . أما بالنسبة للمسلمين ، فالرسول (ﷺ) هو المثل الأعلى المجسم للتوازن الكلى للقوى الإنسانية (العقلية والنفسية والجسمانية)(٥٨) .

وعن هذا المعنى كتب ولفرد كانتويل سمث ـ أستاذ الدراسات الإسلامية الكندى ـ سنة ١٩٤٦ فى كتابه «**الإسلام فى الهند الحديثة**» يقول : «**قد يسمح المسلمون بالطعن فى البارئ وبالكفر به، فهناك منشورات إلحادية ومجتمعات علمانية. إلا أن شتم محمد (ﷺ) وتجريح شخصه يثير ـ حتى فى أكثر المجتمعات الإسلامية تحررا ـ رد فعل شديد التطرف**»(٥٩) .

وقد لاحظ الشيخ مصطفى المراغى ـ الشيخ الأسبق للجامع الأزهر ـ قبل سنوات طويلة ، مدى عدم إدراك الغرب لمكانة الرسول ﷺ الخاصة عند المسلمين حيث قال لصديقه الأسقف الإنجليكانى فى مصر : «**إن أكبر الأشياء التى يثير المسيحيون بها ـ دون إدراك منهم ـ استياء إخوانهم المسلمين، ناتج عن عدم إدراكهم للمكانة الجليلة التى يتمتع بها الرسول عند المسلمين**»(٦٠) .

١٢ ـ سوء ظن المسلمين بالغرب

كان من نتائج الحروب الصليبية ، وحملات الطعن ضد الإسلام التى استمرت على مدى قرون طويلة من الزمان ، بالإضافة إلى الخبرات السيئة والمخيبة للآمال مع أوروبا ، أن أصبح المسلمون يستقبلون أى تعليقات صادرة عن الغرب تخص الإسلام بالشك والريبة والحذر . وهبّ العلماء المسلمون يتساءلون عن سبب ظهور مؤلفات فى الغرب تعالج سيرة الرسول (ﷺ) بطرق مشوهة

ومتباينة إلى حد كبير ، على الرغم من أن مؤلفيها قد استخدموا نفس المراجع العربية القديمة .

وهكذا بدأ العلماء المسلمون يدرسون هذه المصادر العربية القديمة من جديد ، آخذين فى اعتبارهم ما توصل إليه أساتذة الدراسات الإسلامية فى الغرب من نتائج . وبهذه الطريقة ظهرت أيضا فى العالم الإسلامى دراسات حديثة تعالج السيرة النبوية الشريفة بأسلوب علمى ومنهج عقلانى[٦١] . ثم درس علماء الغرب هذه الدراسات الإسلامية الحديثة (التى ألفها علماء مسلمون) بالعناية والتفصيل . ونتج عن هذا التبادل العلمى أن تغيرت صورة الرسول (ﷺ) لدى علماء الاستشراق فى الغرب ـ كما ذكرنا سالفا ـ بيد أن هذا التحول الخطير (فى حركة الاستشراق) لايعرفه إلا قلة محدودة من العلماء المسلمين .

فالشرق مازال ينظر إلى حركة الاستشراق الغربى على أنها ظاهرة مريبة ومثيرة للشك . ومازالت الغالبية العظمى من المسلمين تتهم المستشرقين بسوء النية وعدم الكفاءة العلمية ، هذا فضلا عن عداوتهم الشديدة للإسلام[٦٢] .

١٣ـ الخلاصة

إن حملات الطعن والتجريح التقليدية مازالت تتوالى بنشاط ضد الإسلام فتحدث أثرها وتفعل أفاعيلها . فالريبة وسوء الظن والأحكام الخاطئة والأفكار المشوهة لاتزال موجودة عند كل من المسلمين والغربيين على السواء . ومن هنا فليس مستغربا أن تكون استنتاجات كل طرف عن الآخر خاطئة .

إن المسلمين لم يسعوا بأى حال من الأحوال إلى المساس بمبدأ حرية التعبير عن الرأى ، لأن أهمية هذا المبدأ بالنسبة لهم لاتقل عن أهميته بالنسبة للغرب ، فالهدف الرئيسى لردود فعل المسلمين كان الدفاع عن النفس ضد القذف والتجريح . وتجدر الملاحظة هنا أن جميع النظم القانونية فى الغرب تسمح بمقاضاة القذف قانونيا .

من ناحية أخرى فإن نظرية التآمر على الإسلام التى يؤمن بها الكثير من المسلمين لايمكن التمسك بها أو ادعاء صحتها ، لأن الغرب قد فهم فتوى الخمينى على أنها اعتداء على حرية التعبير عن الرأى ودعوة إلى اغتيال مؤلف الكتاب . وأخيرا ـ وكما ذكرنا أعلاه ـ فإن أغلبية المسلمين قد أدانت مؤلف الكتاب بشدة .

كذلك فإن الأحكام الخاطئة والآراء المتوارثة موجودة أيضا فى الشرق . وقد بنى المسلمون عليها رد فعلهم الدفاعى ضد ما زعموا أنه حملات طعن قديمة فى ثوب جديد ، وبسرعة انتشرت نظرية التآمر على الإسلام .

وباختصار فإن ما أريد قوله هنا هو أن كُلاً من الشرق والغرب لم يفهم الموقف الحقيقى للطرف الآخر . نعم لقد عجز كل معسكر عن فهم المعسكر الآخر . والسبب فى ذلك يرجع إلى أن كل جانب حاول أن يحكم على الجانب الآخر من خلال مقاييسه وتصوراته الخاصة به . فالحوار بين الطرفين لايمكن أن يتم فى مثل هذه الظروف ، وبدلا من هذا الحوار الذى كان من الممكن أن يكون مفيدا ومثمرا ، فإن كل فريق يتحدث مع نفسه .

الهوامش

1. Till Earth and Sky stand presently at God's great Judgment Seat: The Ballad of East and West v.1/2 (Barrack-Room Ballads and other Verses by Rudyard Kipling, Leipzig 1900, 85).
2. Küng, H./J. van Ess: Christentum und Weltreligionen. Bd. I: Islam. Güterloh 1987, S.22.
3. Falaturi, A.: Rechtstradition und Strafjustitz im Islam: Im Namen Allahs. Frankfurt/M. 1980, S.59. = Ullstein 34509
4. Bergsträsser, G.: Islam und Abendland, Auslandsstudien, Bd. 4, Königsberg 1929, S.9.
5. Van Ess, Josef: a.a. O.S. 23.
6. Küng, H.: a.a.O., S. 40.
7. Küng, H.: a.a. O.S. 40.
8. Van Ess, J.: Islam. In: Die Fünf grossen Religionen. Freiburg in Br. 1974, S. 86 = Herder 488; E. Ban nert: Islam heute - morgen. Wien 1958, S.9.
9. Busse, H. Die theologischen Beziehungen des Islams zu Judentum und Christentum. Darm stadt 1988, S.5.
10. Räisänen, H.: Das koranische Jesusbild. Helsinki 1971, S.7.
11. Gabrieli, F.: Die Macht des Propheten, München 1968, S. 73.
12. Schimmel, A.: Der Islam im Rahmen der monotheistischen Weltreligionen,. In: Islam und Abendland. Bern 1976, S.9.
13. Gabriele, F. Die Macht des Propheten. München 1968, S.

73.

14. Gabrieli, F.: a.a. O., S. 77.

15. Vgl. H. Räisänen: Das koranische Jesubild. Helsenki 1971, S.8.

16. Küng, H.: a.a. O., S. 42.

17. Gardet, L.: Islam. Köln 1968, S. 347.

18. Watt, W.M./ A.T. Welch: Der Islam. Bd. I: Mohammed und die Frühzeit. Stuttgart 1980, S.5.

19. Watt, W. M.: a.a. O., S. 18; vgl. auch H. Küng: a.a. O., S. 41.

20. Watt, W.M.: a.a.O., S. 19-21.

21. Watt, W.M.: a.a. O., S. 22.

22. Gabrieli, F.: Die Macht des Propheten. München 1968, S. 78; H. Räisänen: Das Koranische Jesusbild. Helsinki 1971, S.8.

23. Gabrieli, F.: Die Macht des Propheten, a.a. O., S. 80; Räisänen, H.: a.a. O., S.9.

24. Gabrieli, F.: Die Macht des Propheten, a.a. O., S. 84. Unabhängig von Watt gelangte auch der Islam wissenschaftler Rudi Paret zur gleichen Schlussfolgerung, wenn auch in anderem Zusammenhang. Er gibt zu bedenken, dass Muhammad nicht mit modernem, sondern mit dem Massstab seiner eigenen Zeit gemessen werden muss; vgl. dazu R. Paret: Mohammed und der Koran. Stuttgart 1957, S. 112. = Urban Bücher 32.

25. Gabrieli, F.: Die Macht des Propheten, a.a. O., S. 85.

26. Cahen, C.: Der Islam I, Vom Ursprung bis zu den Anfängen des Osmanereiches. Frankfurt/M. 1968. = Fischer Weltgeschichte, Bd. 14, S. 16.

27. Cahen, C.: a.a. O., S. 17.

28. Watt, W.M,: Der Islam. Stuttgart 1980, S. 36.

29. Robinson, F.: Weltatlas der alten Kulturen: Der Islam. München 1982, S. 20.

30. Küng, H.: a.a. O., S. 43.

31. Watt, W. M.: a.a. O., S. 22.

32. Büchner, H.: Erwiderung auf den Artikel "Im Blickfeld-die Arabische Welt", in: Wir Brückenbauer, Nr. 7, 15.2.1974; Die Tat. 4.11.1974, S. 1; H.F. Vogenbeck: Entschleierte Mohammedanerinnen, in: Der Zürcher Oberländer, 18.6.1977, S.7.

33. Andrae, T.: Mohammed. Sein Leben und sein Glaube. Göttingen 1932. Reprint: Hildes heim 1977, S.9.

34. G Manousakis: Die Rückkehr des Propheten. Berg am See 1979, S. 51.

35. Grunebaum, G. E. v.: Studien zum Kulturbild und Selbstverständnis des Islam. Zürich 1969, S. 59.

36. Pritsch, E.: Die Islamische Staatsidee. In: Zscht f. vergleichende Rechtswissenschaft, 53 (1939) 33.

37. Küng, H.: a.a. O., S. 44.

38. Schimmel, A.: Der Prophet Muhammad als Zentrum des religiösen Lebens im Islam. In: Glauben an den einen Gott. Hg. von A. Falaturi und Walter Strolz. Freiburg i.Br.

1975, S. 58.

39. Schimmel, A.: Der Prophet Muhammad... a.a. O., S. 59.

40. Schimmel, A.: Der Prophet Muhammad... a.a. O., S. 60; Schimmel, A.: Und Muhammad ist sein Prophet. Düsseldorf 1981, S. 50.

41. Schimmel, A.: Der Prophet Muhammad als Zentrum des religiösen Lebens im Islam, in: Glauben an den einen Gott. Hg. von A. Falaturi und Walter Strolz. Freiburg i.Br. 1975, S. 61.

42. Schimmel, A.: Der Prophet Muhammad... a.a. O., S. 65.

43. Schimmel, A.: Der Prophet Muhammad... a.a. O., S. 68.

44. Andrae, T.: Die Person Muhammads in Lehre und Glauben seiner Gemeinde. Stockholm 1918; nach A. Schimmel: Der Prophet Muhammad... a.a. O., S. 68f.

45. Schimmel, A.: Der Prophet Muhammad... a.a. O., S 69.

46. Schimmel, A.: Der Prophet Muhammad... a.a. O., S. 70.

47. Schimmel, A.: Der Prophet Muhammad... a.a. O., S. 71.

48. Grunebaum, G.E. v.: Der Islam im Mittelalter. Zürich 1963, S. 139f.

49. Haarmann, U.: Die Pflichten des Muslims - Dogma und geschichtliche Wirklichkeit, in: Saeculum 26 (1975) 95.

50. Bianca, St.: Architektur und Lebensform. Zürich 1975, S 53.

51. Lewis, B.: Der Glaube und die Gläubigen. In: Welt des Islam, Braunschweig 1976, S. 25.

52. Gardet, L.: Islam. Köln 1968, S. 152.

53. Ramadan, S.: Das Islamische Recht. Wiesbaden 1980, S. 40.

54. David, R.: Recht des Islam, in: Einf. in die grossen Rechtssysteme der Gegnwart. Mün chen 1966, S. 471; Gardet, L.: Der Islam. Aschaffenburg 1961, S. 65; Hartmann, R.: Die Religion des Islam. Berlin 1941, S. 56; Hamidullah, M.: Der Islam. Genf 1968. S. 49.

55. Lexikon der Islamischen Welt, a.a. O. Stichw. "Geschichtsschreibung". Bd. I,S. 196.

56. Schimmel, A.: Der Prophet Muhammad... a.a. O., S. 77.

57. Schimmel, A.: Der Prophet Muhammad... a.a. O., S. 58.

58. Zitiert nach Annemarie Schimme: a.a. O., S. 58.

59. Smith, W.C.: Modern Islam in India, Lahore 2 1947, S. 69; zitiert nach A. Schimmel: a.a. O., S. 57; vgl. auch A. Schimmel: Und Muhammad ist sein Prophet. Düsseldorf 1981, S. 8.

60. Jeffery, Arthur: "Ibn al-"Arabi's Shajarat al-Kawn", Studia Islamica Z (1959) 44; zit. nach A. Schimmel: Der Prophet Muhammad... a.a. S. 57 und A. Schimmel: und Muhammad ist sein Prophet. Düsseldorf 1981, S. 7.

61. Schimmel, A.: Und Muhammad ist sein Prophet, a.a. O., S. 209.

62. Peters, R.: Abendländische Islamkunde aus morgenlandischer Sicht, in: Wij en het Midden-Oosten. Nijmegen 1978, S. 61.

ثبت المراجع

Andrae, T.: Die Person Muhammads in Lehre und Glauben seiner Gemeinde. Stockholm 1918.

Andrae, T.: Mohammed. Sein Leben und sein Glaube Göttingen 1932. Reprint: Hildesheim 1977.

Bannert, E.: Islam heute - morgen. Wien 1958.

Bergsträsser, G.: Islam und Abendland. Auslandsstudien. Bd. 4, Königsberg 1929.

Bianca, St.: Architektur und Lebensform. Zürich 1975.

Büchner, H.: Erwiderung auf den Artikel "Im Blickfeld die arabische Welt". In: Wir Brückenbauer, Nr. 15.2.1974; Die Tat. 4.11.1974, S. 1.

Buhl, Frants: Das Leben Muhammeds. 3. Aufl. Darmstadt 1961.

Busse, H.: Tradition und Akkulturation im islamischen Modernismus (19./20. Jhrhundert). In: Saeculum (1975) 157 - 165.

Busse, H.: Die theologischen Beziehungen des Islams zu Judentum und Christentum. Darmstadt 1988.

Cahen, C.: Der islam I, Vom ursprung bis zu den Anfängen des Osmanenreiches. Frankfurt/M. 1968. Fischer Weltgeschichte, Bd. 14.

Daniel, N.: Islam and the West. The making of an image. Edinburgh 1960.

David, R.: Recht des islam. In: Einf. in die grossen Rechtssysteme der Gegenwart. München 1966, S. 169-199 und 630-631.

Falaturi, A.: Rechtstradition und Strafjustiz im Islam. In: Im Namen Allahs. Frankfurt/M. 1980, S. 59-69 = Ullstein 34509.

Gabrieli, F. Die Macht des Propheten. München 1968.

Gardet, L.: Der Islam. Aschaffenburg 1961.

Gardet, L.: Islam. Köln 1968.

Grunebaum, G.E. v.: Studien zum Kulturbild und Selbstverständnis des Islam. Zürich 1969.

Grunebaum, G.E. v.: Der Islam im Mittelalter. Zürich 1963.

Haarmann, U.: Die Pflichten des Muslims - Dogma und geschichtliche Wirklichkeit. In: Saeculum 26 (1975) 95-110.

Hamidullah, M.: Der Islam. Genf 1968.

Hartmann, R.: Die Religion des Islam, Berlin 1941.

Jeffery, Arthur: "Ibn al-Arabi's Shajarat al-Kawn", Saudia Islamica X (1959).

Küng, H./J. van Ess: Christentum und Weltreligionen. Bd. I: Islam. Gütersloh 1987 = GTB 779.

Lewis, B.: Der Glaube und die Gläubigen. In: Welt des Islam, Braunschweig 1976.

Lexikon der Arabischen Welt. Zürich 1972.

Lexikon der Islamischen Welt. 3 Bde. Stuttgart 1974.

Manousakis, G.: Die Rückkehr des Propheten. Berg am 1979.

Nöldeke, Theodor: Geschichte des Korans. Hildesheim 1961. Nachdruck der 2. Aufl. Leipzig 1909.

Paret, R.: Mohammed und der Koran. Stuttgart 1957 = Urban Bücher 32.

Peters, R.: Abendländische Islamkunde aus morgenländischer Sicht. In: Wij en het Midden - Oosten. Nijmegen (1978) 61-72.

Pfannmüller, G.: Handbuch der Islam-Literatur. Berlin 1923.

Pritsch, E.: Die Islamische Staatsidee. Ein geschichtlicher Überblick. In: Zscht f. vergleichende Rechtswissen schaft, 53 (1939) 33-72.

Ramadan, S.: Das Islamische Recht. Wiesbaden 1980.

Räisänen, H.: Das koranische Jesusbild. Helsinki 1971.

Robinson, F.: Weltatlas der alten Kulturen: Der Islam. München 1982.

Schimmel, A.: Der Islam in unserer Zeit. In: Die Herausforderung des Islam. Hg. von R. Italiaander. Göttingen 1965, S. 11-39.

Schimmel, A.: Der Prophet Muhammad als Zentrum des religiösen Lebens im Islam. In: Glauben an den einen Gott. Hg.von A. Falaturi und Walter Strolz. Freiburg i.Br. 1975.

Schimmel, A.: Der Islam im Rahmen der Monotheistischen Weltreligionen. In: Islam und Abendland. Geschichte und Gegenwart. Hg von André Mercier. Bern 1976, S. 9-29.

Schimmel, A.: Und Muhammad ist sein Prophet. Düsseldorf 1981.

Smith, W.C.: Modern Islam in india, Lahore 2 1947.

Sprenger, Aloys: Das Leben und die Lehre Mohammads nach seinen bisher grösstenteils unbenutzten Quellen bearbeitet. Berlin 1861-65. 2. Aufl. 3 Bde. 1869.

van Ess, J.: Islam. In: Die fünf grossen Religionen. Hg. von Emma Brunner-Traut. Freiburg in Br. 1974, S. 67-87 (Herderbücherei 188)

Vorenbeck, H.F.: Entschleierte Mohammedanerinnen. In: Der Zürcher Oberländer, 18.6.1977.

Watt, W.M.: Muhammad at Mecca. Oxford 1953.

Watt, W.M.: Muhammad at Medina. Oxford 1956.

Watt, W.M.: Muhammad Prophet and Statesman. London 1961.

Watt, W.M.: The Influence of Islam on Medieval Europe. Edinburgh 1972 (Islamic Surveys 9; dt.: Der Einfluss des Islam auf das europäische Mittelalter. Berlin 1988.

Watt, W.M./A.T. Welch: Der Islam. Bd.I: Mohammed und die Frühzeit. Stuttgart 1980.

صدر من سلسلة (فى التنوير الأسلامى)

١ - الصحوة الإسلامية فى عيون غربية .	د . محمد عمارة
٢ - الغرب والاسلام .	د . محمد عمارة
٣ - ابو حيان التوحيدى .	د . محمد عمارة
٤ - دراسة قرآنية فى فقة التجدد الحضارى .	د . سيد دسوقى
٥ - ابن رشد بين الغرب والاسلام .	د . محمد عمارة
٦ - الانتماء الثقافى	د . محمد عمارة
٧ - تنصير العالم .	د . زينب عبد العزيز
٨ - التعددية الرؤية الإسلامية والتحديات .	د . محمد عمارة
٩ - صراع القيم بين الغرب والإسلام .	د . محمد عمارة
١٠ - د . يوسف القرضاوى : المدرسة الفكرية . والمشروع الفكرى	د . محمد عمارة
١١ - تأملات فى التفسير الحضارى للقرآن الكريم .	د . سيد دسوقى
١٢ - عندما دخلت مصر فى دين الله .	د . محمد عمارة
١٣ - الحركات الإسلامية رؤية نقدية .	د . محمد عمارة
١٤ - المنهاج العقلى .	د . محمد عمارة
١٥ - النموذج الثقافى .	د . محمد عمارة
١٦ - منهجية التغيير بين النظرية والتطبيق .	د . صلاح الصاوى
١٧ - تجديد الدنيا بتجديد الدين	د . محمد عمارة
١٨ - الثوابت والمتغيرات فى اليقظة الإسلامية الحديثة .	د . محمد عمارة
١٩ - نقض كتاب الاسلام وأصول الحكم .	د . محمد عمارة
٢٠ - التقدم والاصلاح بالتنوير الغربى .	د . محمد عمارة
٢١ - فكر حركة الأستنارة . . وتناقضانه .	د . عبد الوهاب المسيرى
٢٢ - حرية التعبير فى الغرب من سلمان رشدى إلى روجية جارودى .	د . شريف عبد العظيم
٢٣ - أسلامية الصراع حول القدس وفلسطين .	د . محمد عمارة
٢٤ - الحضارات العالمية تدافع؟ . . أم صراع .	د . محمد عمارة
٢٥ - التنمية الأجتماعية بالغرب ؟ . . أم بالأسلام؟؟	د . عادل حسين
٢٦ - الحملة الفرنسية فى الميزان .	د . محمد عمارة
٢٧ - الإسلام فى عيون غربية . . دراسات سويسرية	ترجمة ا . ثابت عيد
٢٨ - الأقليات الدينية والقومية تنوع ووحدة . . أم تفتيت وأختراق .	د . محمد عمارة
٢٩ - ميراث المرأة وقضية المساواة .	د . صلاح الدين سلطان .
٣٠ - نفقة المرأة وقضية المساواة .	د . صلاح الدين سلطان .

الفهـــرس

صفحة

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨

إلى القارئ العزيز ..

في هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربي» هو تنوير علماني ، يستبدل العقل بالدين ، ويقيم قطيعة مع التراث ..

فإن «التنوير الإسلامي» هو تنوير إلهي ، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار ، تصنع للمسلم تنويرا إسلاميا متميزا .

ولتقديم هذا التنوير الإسلامي للقراء ، تصدر هذه السلسلة ، التي يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامي المعاصر :

- د . محمد عمارة
- المستشار طارق البشري
- د . حسن الشافعي
- د . محمد سليم العوا
- ا . فهمي هويدي
- د . جمال الدين عطية
- د . سيد دسوقي
- د . كمال الدين إمام
- د . عبدالوهاب المسيري
- د . شريف عبدالعظيم
- د . عادل حسين
- د . صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح ، لإنارة العقل بأنوار الإسلام .

الناشر



